


عَبْدُ الوَهَّاب عَبْدُ السَّلَام طَوِيلَة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة


الإسلام
والبشرية الحائرة

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ ( ٢٠٢ + ) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ ( ٢٠٢ + )
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ ( ٢٠٢ + )
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ ( ٢٠٢ + )
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ ( ٢٠٣ + )
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com




تأليف

عبد الوهاب عبد السلام طويلة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وفطره على الحق ، وزينه بالعقل ، وجعله مناط المسؤولية ، وأكرمه بالشرع ليكتسب منه علمًا وإدراكًا ، فلم يخلقه عبثًا ، ولم يتركه هملًا ، بل كان له في ذلك كله تكليف وتشريف ، إذ لا يُحاسب إلا من له كيان ، ولا يُعتب إلا على من ينظر إليه باهتمام . والصلاة والسلام على صفوة البشر الذين اختارهم الله ، فنبأهم وأرسلهم هداة للناس ، يأخذون بأيديهم إلى الحق والخير ، ويبعدونهم عن الباطل والشر ، يحلون لهم الطيبات ويحرمون عليهم الخبائث ، يرشدونهم في الدنيا إلى ما فيه مصالحهم ، ويهيئونهم للظفر بسعادة الآخرة .

وكان من حكمة الله سبحانه أن بعث في كل أمة رسولًا منهم إليهم خاصة ، يدعوهم إلى عبادة خالقهم وحده ، ويقيم عليهم حجته . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، ثم ختم الأنبياء بمحمد ﷺ فأرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا للناس كافة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] ، وأنزل عليه شريعة

كاملة شاملة كل نواحي الحياة ، وهي صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان ، فكان كما قال اللّه تعالى له : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

إن المتأمل في أحوال الناس وما أصابهم من العنت والتردي في هوة الشقاء والحيرة والتمزق ليعجب ويتساءل : إذا كان دين الإسلام عالميًا ، وفيه سعادة المعاش والمعاد ، فلماذا لا يُمحص الناس في أمورهم ويقبلوا على دراسته بموضوعية وتجرد ، بل لِمَ يُكنُّ له أكثر الغربيين الحقد والكراهية مع أنهم قطعوا في التقدم المادي شوطًا كبيرًا ؟

**والجواب يتلخص في أمرين :**

١ – الجهل بحقيقة الإسلام ، فمن جهل شيئًا لم يقدره حق قدره ، ولم يعرف قيمته . ويعود سبب الجهل إلى ناحيتين :

أ – تقصير المسلمين في الدعوة الحكيمة إلى اللّه بالأقوال والأفعال مع أنها فرض كفاية ، حتى إن من اعتنق الإسلام ليشكو من انعدام الوسائل التي تُعرِّف بالإسلام .

قال المفكر الفرنسي الدكتور موريس بوكاي بعد أن اعتنق الإسلام : إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عمومًا في بلادنا الغربية ، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة ، وكيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإسلام .

ب - بلوغهم الخبر بشكل مشوه ، فإن أكثر أساتذة الدراسات الشرقية في الجامعات الأوربية والأمريكية غير مسلمين ، بل من المعادين والمغرضين ، فماذا تنتظر منهم غير تشويه الحقائق . والطعن المستمر بمختلف الأساليب . ولذلك تجد أكثر الغربيين إذا تحدثوا عن العلم والدين أغفلوا الإسلام بسبب انطباعاتهم المبنية على مفاهيم مغلوطة .

**قال المفكر موريس بوكاي** : إن كثيرًا من النصارى الذين تربوا في ظروف عدائية صريحة للمسلمين هم أعداء لكل تأمل في الإسلام .

٢ - اتباع الهوى والمظاهر البراقة ، فقد ظن كثير من الناس أن التطور في العلوم والمعارف والتقدم المادي هي الحضارة التي يجب الوصول إليها لسعادة الإنسان دون غيرها . وهذا جهل منهم بحقيقة الإنسان وحاجاته ، فقد استخدم الناس في الغرب وغيره معظم ما وصل إليه التقدم ، ومارسوا وسائل الترفيه ، لكنهم لم يعثروا على أثر روحي يطفئ ظمأ قلوبهم ، وإنما أضاعوا أنفسهم بتلهفهم وراء الظواهر المادية الخادعة ، ونسيانهم الحقائق الكامنة في نفوسهم ، جفاف وقلق واضطراب واكتئاب وغثَيان .. وعيادات نفسية تزداد يومًا بعد يوم ، تلك هي الحصيلة الوحيدة لما يحسبه التائهون حياة ، وما هي من الحياة في شيء ، كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧] ولا يريدون أن يتعبوا أنفسهم بالبحث والتدقيق ، فمتى يمكن أن تتضح الصورة النقية للإسلام في أذهان الناس والحالة هذه وكيف ؟!

ما زال أكثر أهل الكتاب من يهود ونصارى يرفضون الاعتراف بنبوة محمد ﷺ ودينه ، وتنعكس هذه الصورة في أذهان الغربيين حيث تأتي الحملات التبشيرية إلى بلاد المسلمين لتنصيرهم ، مع أن الغربيين أنفسهم قد أعرضوا عن دينهم ، وأهملوه في بلادهم وأنفسهم ، فلا يقيمون شيئًا منه في شؤونهم الخاصة والعامة باستثناء بعض الطقوس في كنائسهم من أجل مناسبات خاصة ، لا تزيد عن كونها صورًا ظاهرية خالية من الروح .

تقف البشرية اليوم حائرة بعد أن عجزت الديانتان اليهودية والنصرانية عن هداية أتباعهما القلبية ، وعن إذهاب القلق والاكتئاب من نفوسهم ، فضلًا عن هداية الآخرين ، بسبب ما اعترى أسفارهما من تحريف ، وأشد منهما عجزًا الديانات الوثنية على اختلاف نحلها ، والمناهج الوضعية والفلسفات المتهافتة التي لا تليق بِنُضْجِ الإنسان علمًا وعقلًا ، فضلًا عن كونها لا تشبع له روحًا ، ولا تقنع له عقلًا ، ولا توقظ له ضميرًا ، ولا تزيده مع الأيام إلا تخبطًا وضلالًا وخبالًا . فأين المنقذ ؟

إنه الإسلام ، فمحصوا في أمركم وتعالوا إلى دراسته ،

فهو دين الله وقد وعى هذه الحقيقة كثير من المفكرين ، فدخلوا في دين الله وانطلقوا دعاة غير عابئين بضعف المسلمين ، إن من أوجب الواجبات دعوة البشر الذين يغفلون عما حولهم إلى دين الله ، وتنبيههم إلى النهاية الحتمية لهم ، وترغيبهم وحثهم على دراسة دلائل نبوة محمد ﷺ ومعرفة دينه ، فمن تتبع سيرة هذا الرجل وتدبرها من يوم ولد إلى أن بعث ، ومن حين بعث إلى أن انتقل إلى جوار ربه ، وفكر في نسبه وأصله وفصله وبلده وما جرى له وما انتهى إليه أمره ، وأنعم النظر في القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه ، وفي الشريعة التي أوحى بها إليه بتجرد وموضوعية وإنصاف ، وصل إلى طمأنينة القلب بصدقهِ وحكمة ما جاء به ، ولعل أنجع وسيلة للتأثير في أهل الكتاب إقناعهم بأن محمدًا ﷺ هو النبي الموعود الذي بشرت به أنبياؤهم وأسفارهم ، وأن القرآن الكريم هو كلمة الله الأخيرة إلى البشرية التي لم يتطرق إليها تحريف ولا تبديل ، وأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس ، لا يقبل منهم غيره .

وهذا الكتاب مساهمة موجهة للحائرين ، ولاسيما غير المسلمين أذكر فيه حاجة البشرية إلى النبوة ، وأوضح دلائل نبوة محمد ﷺ المتنوعة ، ثم أختمه بتعريف عام موجز بدين الإسلام ، وقد توخيت فيه إبراز المزية الفريدة

للإسلام ، ألا وهي أنه ليس مجرد دين روحي يربط الإنسان بخالقه فحسب ، بل هو بالإضافة إلى ذلك نظام كامل للحياة وتشريع لجميع جوانبها ، يربط الإنسان بخالقه في جميع أحواله وظروفه ، كما توخيب فيه إزالة الشبهات التي يثيرها أعداؤه حوال النظم الإسلامية ومنها الجهاد ، فإن دراسة تلك النظم وبيان أحكامها وتوضيح حكمتها وأهدافها وخصائصها وما نتج من تطبيقها العملي على مدى التاريخ مع استعراض جوانب من سيرة النبي ﷺ يدحض تلك الافتراءات ويوضح الفرق بين الجهاد المشروع والظلم الممنوع ، ولا تعدو غايتي أن تكون دعوة إلى بحث واستقصاء بروح من المحبة والتجرد ، ليزداد الذين آمنوا إيمانًا مع إيمانهم ، وليكون غير المسلم على مفترق الطرق ، فإما أن يكون صادقًا مع نفسه سديدًا في فكره منصفًا في حكمه راغبًا في نجاته فيسلم بالحقائق ، وإما أن يكابر ويصر على جحوده عنادًا وتكبرًا ، وهذا ليس من شأن العقلاء .

* * *

# الإسلام والبشرية الحائرة




## البشرية والنبوة

ويحتوي على الفصول التالية :

- **النبوة والعقل .**
- **دلائل نبوة محمد .**
- **بشارات الأنبياء به .**
- **البعثة وأدوار الدعوة .**

# الإسلام والبشرية الحائرة




## النبوة والعقل

ويحتوي على الفروع التالية :

- **الفطرة والعقل والإيمان بالخالق .**
- **ضرورة النبوة .**
- **صفات الأنبياء .**

# الفطرة والعقل والإيمان بالخالق

## توطئة :

يذكر التاريخ وتتناقل الأجيال خلفًا عن سلف أنه ظهر على مر الزمن رجال دعوا أقوامهم إلى عبادة اللّٰه الواحد خالق الأكوان والعوالم ، ودعوهم إلى تحكيم العقل والفطرة، وأرشدوهم إلى الحق والخير والعدل عن طريق ما أنزل اللّٰه عليهم من كتب ، وأوحى إليهم من تعاليم .

ويذكر التاريخ وتتناقل الأجيال أنهم كانوا من المعروفين والمشهورين بالأخلاق الحميدة والصفات الكريمة ، حتى إن من خالطهم أو عرفهم عن قرب وصفهم بأنهم صفوة بني الإنسان والمثل الأعلى له .

ويذكر التاريخ وتتناقل الأجيال أنهم كانوا يمتازون برجاحة العقل وقوة الحجة ، وقد زودهم اللّٰه بقوة خارقة لقوانين الطبيعة ، تحدوا الناسَ أن يأتوا بمثلها ، وجعلوها دليلًا على صدقهم وبرهانًا على رسالتهم .

## الوجود الحق :

من نظر بعين الاعتبار إلى الأكوان والعوالم وما فيها من

بدائع الحكم وغرائب المخلوقات ودقيق الصنع مع العظمة والاتساع ، وعرف بعض ما فيها من أسرار ، ثم انتقل من ذواتها وأوصافها إلى الروابط العجيبة والدقيقة فيما بينها ، ولا سيما روابط جسمه ، خرج من كل ذلك أن لهذه الأكوان والعوالم خالقًا قادرًا حكيمًا ، واجب الوجود ، لأن المصادفة تتناسب عكسًا مع دقة النظام واتساع الأكوان .

ولما كان الإيمان بالخالق من فطرة الناس ونتاج تفكيرهم أفاض القرآن الكريم في بيان صفات الله ﷻ ، ولفت الأنظار إلى حكمته البارعة وأسراره العالية ، وحث على تجديد النظر ودوام التفكير . ومن ذلك ما يلي :

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٤] .

وقال جل جلاله : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] .

فالإيمان بالله من أعظم ما تستدعيه مسألة خلق الناس ووجودهم وظواهر رزقهم وحياتهم ومماتهم وما يحيط بهم . وهو مما تقتضيه فطرتهم الصافية .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [ الروم : ٣٠] .

فلو ترك المولود وشأنه من غير أن تتدخل المؤثرات حوله لنشأ مؤمنًا بالله الخالق ، وهذا هو الشعور الداخلي عند الإنسان ، والدين يلبي هذه الفطرة .

## الإسلام دين التوحيد الخالص :

دعا القرآن الكريم إلى وحدانية صريحة منزهة عن أية شائبة ، واحتج بالفطرة الصافية التي فُطرت على الإيمان بإله واحد ، وخاطب العقل طالبًا النظر في ملكوت الله ، ليدرك أن هذا الإبداع والتناسق في الأكوان والعوالم لابد له من مبدع واحد في ذاته ، واحد في ألوهيته وربوبيته ، واحد في أسمائه وصفاته ، ليس له نِد ولا شريك . وقد أفاض في الحديث عن وحدانية الله تعالى في خلقه ورزقه وإحيائه وإماتته وسائر تصرفه ، كما أفاض في وجوب إفراده بالعبادة والاستغاثة واللجوء .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا

فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥١- ٥٥] .

وقال سبحانه : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١- ٩٢] .

وقال جل جلاله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

## الأنبياء جميعًا دعوا إلى التوحيد :

توالى رسل الله جميعًا يدعون إلى هذه الحقيقة الخالدة ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ من عهد آدم عليه السلام إلى عهد المسيح عليه السلام قبل أن يرفعه الله وبعد أن ينزله إلى الأرض، ليقتل الدجال ويدعو إلى التوحيد ، ويحكم بالشريعة الإسلامية ، ولو نظرنا الآن إلى الكتاب المقدس عند أهل الكتاب بعهديه لوجدنا دعوة صريحة إلى التوحيد في كثير من النصوص ، رغم افتقار الكتاب إلى التوثيق وعُرضته للتحريف . ومن ذلك ما يلي :

● جاء في سفر الخروج ( ٣/٦ ) أن الله قال لموسى حين بعثه : أنا إله أبيك ، إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب .

● وفي ( ٢٠/١ - ٥ ) : ثم تكلم الله بجميع هذه

الكلمات قائلًا : أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ؛ لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا ولا صورة ما .. لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب إلهك إله غيور .

( ١٣/٢٣ ) : ولا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يُسمع من فمك .

● وجاء في سفر اللاويين ( ١/٢٦ ) : لا تصنعوا لكم أوثانًا ، ولا تقيموا لكم تمثالًا منحوتًا أو نَصَبًا ، ولا تجعلوا في أرضكم حجرًا مُصَوَّرًا لتسجدوا له ، لأني أنا الرب إلهكم .

● وجاء في سفر التثنية ( ٢٣/٤ - ٢٤ ) : احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالًا منحوتًا ، صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك ، لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور .

وفي ( ٦/٥ - ٩ ) : أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من مصر ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا صورة ما .. لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب إلهك إله غيور .

وفي ( ٤/٦ - ٥ ) : الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك .

( ١٣/٦ - ١٤ ) : الربُّ إلهك تتقي ، وإياه تعبد ،

وباسمه تحلف ، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم ، لأن الرب إلهكم إله غيور .

( ١٦/١١ - ١٧ ) : فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها ، فيحمى غضب الرب عليكم .

( ٤/١٣ ) : وراء الرب إلهكم تسيرون ، وإياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، وإياه تعبدون .

( ٣٩/٣٢ - ٤٠ ) : انظروا الآن ، أنا أنا هو ، وليس إله معي ، أنا أميت وأحيي .. إني أرفع إلى السماء يدي وأقول : حي أنا إلى الأبد .

● وجاء في إنجيل متى ( ١٠/٤ ) أن المسيح قال لإبليس : ابتعد عني يا شيطان ، لأن الكتاب يقول : للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد .

● وجاء في إنجيل مرقس ( ٢٩/١٢ - ٣٠ ) : فأجاب يسوع : الوصية الأولى هي اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا هو الرب الأحد ، فأحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك وكل قدرتك .

● وجاء في إنجيل يوحنا ( ٣/١٧ ) : والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ، ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته .

● وجاء في رسالة بولس إلى رومه ( ٣/٢٩ - ٣٠ ) : أمَا هو إله سائر الأمم أيضًا ؟ نعم هو إله سائر الأمم أيضًا ، لأن اللّٰه واحد يُبرر اليهود بالإيمان كما يبرر غير اليهود بالإيمان أيضًا .

● وجاء في رسالة بولس إلى غلاطية ( ٣/٢٠ ) : والوسيط يفترض أن يكون أكثر من واحد ، واللّٰه واحد .

● وجاء في رسالة يعقوب ( ٢/١٩ ) : أنت تؤمن أن اللّٰه واحد ؟ حسنًا تفعل ، وكذلك الشياطين تؤمن به وترتعد .

فلعل هذه النصوص من بقايا الوحي في أسفارهم .

## التفكر في الخلق وليس في ذات الخالق :

إن ذات اللّٰه تعالى أكبر من أن تحيط بها عقول البشر أو تدركها أفكارهم ، لأن العقول والأفكار مهما بلغت من الذكاء والإدراك فهي محدودة القوة محصورة القدرة ، لذا كان على العاقل الحكيم أن يحصر همه في إدراك عظمة ربه بالتفكر في مخلوقاته والتمسك بلوازم صفاته ، دون أن يتفرك في كُنْهِ ذاته ، وهذا ما أرشد إليه النبي ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « **لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال خَلَق اللّٰه الخلق ، فمن خلق اللّٰه ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت باللّٰه** » [1] .

---

( ١ ) أخرجه مسلم .

وفي حديث آخر أخرجه الشيخان : « **فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته** » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قومًا تفكروا في الله عز وجل ، فقال النبي ﷺ : « **تفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في الله ؛ فإنكم لن تقدروا قدره** » (١) .

وليس النهي عن التفكر في ذات الله وكنهه حجْرًا على حرية الفكر ، ولا جمودًا في البحث ، ولا تضييقًا على العقل ، ولكنه عصمة له من التردي في مهاوي الضلالة ، وإبعاد له عن معالجة أبحاث لا يمكن أن تتوفر له وسائل بحثها ، ولا تحتمل قوته مهما عظمت علاجها ، غير أنه مضطر لأن يسلم بحقيقة وجودها استجابة لفطرته وتفكيره وإن لم يرها ، فما أكثر ما استفاد الإنسان من قوى لم يرها ولم يعرف شيئًا عن حقيقة ذاتها وكنهها ، كالذرة والمغناطيس والكهرباء ، ولا يستطيع العلماء أن يفيدونا بشيء عن غير ظواهرها وآثارها ، وإذا كان هذا في بعض المخلوقات التي نحس بها ، فما بالك بذات الخالق ؟

إن كل محاولة للبحث في ذات الله ليست عقيمة فحسب ، بل ضارة بالإيمان وبسعادة الإنسان ، لأنها لابد

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية . وقال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

من أن تقود إلى الخطأ والضلال ، وقد استنزف البحث عن تعريف جوهر اللّٰه ومعنى الثالوث الأقدس كل تفكير قديسي النصارى فترة تناهز سبعة عشر قرنًا ، فما الذي ابتكروه ، وما الذي جنوه سوى الانقسام والانشقاق ولعن بعضهم بعضًا .

## أسماء الله وصفاته توقيفية :

دعت الأنبياء جميعًا إلى توحيد اللّٰه واجب الوجود خالق الأكوان والعوالم ومبدعها توحيدًا مطلقًا خالصًا من أية شائبة كما سلف ، والمسلمون يؤمنون بإله واحد لا معبود بحق سواه ، فهو الرب الخالق والمالك المدبر لجميع خلقه ، ليس له شريك في ألوهيته ولا في ربوبيته ، قائم بذاته غني عن العالمين ، واحد في ذاته وواحد في صفاته . ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، هو الأول فليس قبله شيء ، وهو الآخر فليس بعده شيء ، وهو الظاهر فليس فوقه شيء ، وهو الباطن فليس دونه شيء ، متصفٌ بكل كمال ، منزه عن أي نقصان ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ويؤمن المسلمون أيضًا بكل ما أثبته لنفسه في كتابه ، أو أثبته له رسوله ﷺ فهو المبلغ عنه ، من الأسماء والصفات ، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ، فله الأسماء

الحسنى ، وله الصفات العلى الكاملة ، لا شريك له في أسمائه ولا في صفاته ، ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [ مريم : ٦٥] .

ويؤمن المسلمون أيضًا بانتفاء ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ ويسكتون عما سكت هو عنه وسكت عنه رسوله ﷺ ، فلا يطلقون عليه اسمًا أو وصفًا لم يرد الشرع به .

ولا بأس بالأمثلة الإيضاحية لتقريب الفهم ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [ النور : ٣٥] .

* * *

## ضرورة النبوة

من نظر بعين الاعتبار إلى عناية الله بخلقه وجد أن حاجة البشر إلى أنبياء لهدايتهم وإصلاحهم أشد من حاجتهم إلى أمور كثيرة لم تهملها العناية الإلهية في أجسامهم وظروفهم فقد خلقهم في أحسن تقويم ، وسخر لهم الكون بنظامه العجيب الدقيق ، ووضع لهم كافة العوامل التي تُهيِّئ لهم الحياة المستقرة وسبلها ، فهل يعقل أن يودعهم على ظهر الأرض من غير أن يزودهم بسبل النجاة والهداية ؟ إن من تمام الانسجام أن يضع الخالق للبشر تشريعًا ينظم علاقاتهم بربهم الذي خلقهم وببعضهم في جميع النواحي ، وهذا لا يتم إلا عن طريق الأنبياء ، فهذه مهمتهم وتلك حقيقتهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وتتوضح حاجة البشرية إلى النبوة من النواحي التالية :

### ١ - قصور العقل والحواس :

لاريب أن العقل وإمكاناته من أهم أسباب المعرفة ، والحواس وسائله في ذلك ، غير أنه لا يكفي وحده ليكون

فيصلًا في التفريق الكامل الصحيح بين الخير والشر والحسن والقبيح لأسباب كثيرة ، منها ما يلي :

أ - محدودية العقل : وهذا أمر مسلم به ، ألا ترى أن ثمة مسائل يصعب عليه إدراكها ، فيدخل في الظن والتخمين ، ثم يزداد معرفة يومًا بعد يوم عن طريق التجارب ؟ ولو كان كاملًا غير محدود لعرف وجه الحق فورًا في كل ما يعرض له ، ولما تغير اجتهاده مرات في المسألة الواحدة .

ب - تفاوت العقول في إدراكها وحكمها على الأشياء ومن حولها ، فقد يستحسن عقل ما يستقبحه آخر ، وربما يكون الشيء مستقبحًا لدى كثير من الناس وليس كذلك في حقيقة الأمر ، وربما يكون العكس أيضًا ، بل ربما تغير حكمه على الشيء الواحد بين مرة وأخرى .

جـ - محدودية الحواس وعرضتها للخطأ ، فالعين مثلًا لا تبصر الحركات البطيئة كحركة عقربي الساعة الكبيرين ، ولا السريعة كالعجلات التي تدور بسرعة ، ولا تبصر بعض الموجودات كالمغناطيس والأشعة غير المرئية ، والأذن لا تسمع الأصوات الخفيفة كحركة النملة ، ولا البعيدة أيضًا ، ويصعق الإنسان بالأصوات الهائلة .

### ٢ - زيغان العقل وفساد الفطرة :

العقل السليم وحده كافٍ في الاستدلال على وجود الخالق ومعرفة بعض صفاته ، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد . والفطرة الصافية التي فطر اللّٰه الناس عليها تميز بين الطيب فتحبه ، وبين الخبيث فتنفر منه . غير أن العقل يعتريه الزيغ ، والفطرة يعتريها الانحراف ، وربما الفساد ، بتأثير عوامل متنوعة وملابسات متعددة ، منها غلبة الأهواء وتأثير المجتمعات وتقليد الأسلاف ، وربما لا يشعر الإنسان بذلك ، فإنه مركب على الغفلة والسهو ، والتأثر والسرعة في الحكم .

ومن ثم يصبح الإنسان بحاجة ماسة إلى من يذكره ويعلمه ويصحح زيغ عقله وفساد فطرته ، وبعثة الأنبياء إمداد له بذلك ، ولو ترك وهوى نفسه لكان ذلك إغراء له بالقبائح .

### ٣ - تعريف الإنسان بالأمور الغيبية :

ثمة أمور غيبية عظيمة وكثيرة نحن قادمون عليها لا محالة ، ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة كثير منها بمجرد عقله وحواسه ، كالبعث بعد الموت والحشر والحساب والجنة أو النار ، لأن الحواس لا تدرك إلا عالم الشهادة ، أما عالم الغيب وهو أعظم وأرحب فلا سبيل لها إليه ، وهَبْهُ عرف بعض ذلك بعقله وفطرته ، فإنه لا يعرفه على حقيقته وتفصيله ، فلا سبيل له إلى معرفته بصورة

كافية إلا عن طريق النبوة . قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [ المؤمنون : ١١٥] .

## ٤ - مقومات الروح ومقومات البدن :

الإنسان مركب من جسم مادي كثيف مخلوق من تراب ، ومن روح لطيفة هي سر الحياة ، ولكل منهما غذاؤه ومقوماته التي لا يستغني عنها . فمقومات الجسم هي الأطعمة والأشربة ونحوها ، وبعض الأطعمة والأشربة ضار بالإنسان من نواح كثيرة ، بل ربما يؤدي إلى إهلاكه ، ولا سيما إذا كان فيه لذة آسرة ، كالمسكرات والمخدرات ، فلو ترك الإنسان وحده ليكتشف ذلك بالتجارب لطال الأمد ، ولو اكتشف ذلك ، فربما لا يلتزم به ، غير أن الرسل بما أنزل الله عليهم من كتب وتشريع يبينون ذلك ويلزمون الناس به ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [ الأنعام : ١١٩] وقال سبحانه في وصف رسوله محمد ﷺ : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [ الأعراف : ١٥٧] . أما مقومات الروح فمعنوية لا تفي العقول والأفكار بها ، وإنما تفي بها هداية الله عن طريق أنبيائه وكتبه ، فإن القلوب تقسو وتتغير ، والنفوس تضيق وتضطرب ، ولا سيما إذا تحكمت فيها الشهوات ، ولذلك اقتضت حكمة الله سبحانه أن يلزم عباده بأقوال وأفعال يؤدونها في أوقات متقاربة تكون صلة بينه وبينهم ،

وتذكرهم بتعاليم الأنبياء ، كالصلاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] .

فبمقومات الروح والبدن يعيش الإنسان حياة متوازنة ، وبالبعد عن مقومات الروح يتخبط في أجواء الماديات ، وتطغى عليه شهواته .

**٥ - إنزال الشرائع السماوية ضرورة اجتماعية :**

الإنسان مدني بطبعه ، يحتاج إلى بني جنسه ، وهذا مما يفضي إلى التنازع ، فلابد من قواعد وضوابط تنظم حياة الناس ويلتزمون بها ، والإدراك بالحواس والعقل ووضع القوانين لا يحمل الإنسان على الاتصاف بالفضائل والبعد عن الرذائل بصورة كافية ، فلابد من شريعة سماوية تتناول شتى نواحي الحياة ، تحفظ للناس مصالحهم وتصون حقوقهم وتنظم علاقاتهم على أسس من العدل ومكارم الأخلاق ، تخاطب عقولهم وقلوبهم .

**وصفوة القول** : النبوة ضرورية في حياة البشر لا معدل عنها ، وقد أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب ليقوموا انحراف العقل ، ويصححوا فساد الفطرة ، ويرشدوا الناس إلى الحق الخالص والصواب المحض ، وينظموا أوضاع الناس

وعلاقاتهم ، ويعلموهم الطريقة المثلى لعبادة الله وغير ذلك . قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤- ١٦٥] . وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

**تنبيهات مهمة :**

١ - لا تعارض البتة بين العقل السليم والفطرة الصافية وبين ما يوحي به الله إلى الأنبياء من عبادة وتشريع إذا ثبت نقله ؛ فالأنبياء لا تأتي بما تُحيله العقول ، لكن من يضمن لنا سلامة العقل وصفاء الفطرة ولو نسبيًّا ؟ ومن يضمن لنا بُعد هذا الشخص عن العوامل والعواطف المؤثرة ؟ ومن يضمن لنا عدم رجوعه عن تفكيره وعدم مخالفة غيره له . فلابد من أن تأتي الأنبياء بما يحسم ذلك كله .

٢ - كثيرًا ما تأتي الأنبياء بأحكام مؤيدة لما رأته العقول السليمة ، ويكون ذلك من باب ترادف الأدلة .

٣ - كثيرًا ما يأتي التشريع بكليات عامة ، ويترك إلى عقول المجتهدين تفصيلها .

٤ - لو فكر عاقل بحق وإنصاف بما يريده دين الإسلام من البشر ، لأدرك حكمة الله فيما فرضه على عباده ، وفيما

حرمه عليهم ، وفيما أباحه لهم .

## وحدة الأنبياء في الدعوة والهدف :

الأنبياء جميعًا يدعون إلى أصول واحدة وقواعد مشتركة، لا تختلف في حقيقتها وجوهرها ، ويبنون أحكامهم على أسس متناسقة بوحي من اللّٰه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] وقال أيضًا : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت : ٤٣] وقال أيضًا : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣] ، وقال أيضًا : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقد استهدفت جميع الشرائع في عبادتها وتشريع أحكامها ما يحقق مصالح الناس في الدنيا ، ويهيئهم للظفر بسعادة الآخرة ، غير أن تفاصيل الأحكام تختلف من أمة إلى أمة تبعًا لاختلاف الزمان وأحوال الناس واستعدادهم وما يحيط بهم من عوامل وملابسات . قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقال سبحانه : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ ﴾ [الحج : ٦٧] ، ولذلك اقتضت حكمة اللّٰه سبحانه أن يرسل إلى كل أمة

رسولًا خاصًا بهم . قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] .

وكانت رسالة الأنبياء جميعًا بمثابة المقدمة أو التمهيد لخاتم الأنبياء محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] . فلدى اقتراب نهاية العالم النسبية لابد من دعوة جامعة لبني البشر . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وقال جل شأنه : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] وقال أيضًا : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨] .

ومن هذا المنطلق دخل في الإسلام منذ بدء الدعوة ناس من غير العرب ، فكان في أصحاب النبي ﷺ الحبشي والفارسي والرومي وغيرهم .

ومن الجدير بالذكر أن عالمية الإسلام تفرض على أتباعه أن يقدموا من سلوكهم الخاص والعام نماذج من المعاملة الجديرة بالإكبار ؛ ليظهروا حقيقة الإسلام لمن لا يعرفونها .

النبوة والعقل

## صفات الأنبياء

النبوة فضل إلهي ومنحة ربانية ، يهبها الله تعالى لمن اصطفاهم من عباده ، ممن فيهم خيرية وأهلية وصلاح لحمل الرسالة وفهمها وتبليغها .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج : ٧٥] .

وقد خصهم الله سبحانه بصفات تساعدهم في أداء مهمتهم ، وتعينهم على النجاح فيها ، فجمع فيهم حميد الأخلاق وكريم الصفات ما لم يجتمع في غيرهم ، فهم الصفوة المختارة من البشر ، شرفهم الله بالنبوة واختارهم ليكونوا نموذجًا للكمال الإنساني وعنوانًا للفضل ، وقادة لركب الحضارة على مدى الأزمان والدهور . ومن تلك الصفات التي لابد من تحققها مجتمعة في كل نبي ما يلي :

### ١ - الصدق والأمانة :

الصدق صفة ملازمة للنبوة ، بل هي من الصفات

الفطرية فيهم ، إذ من المستحيل على الرسول أن يكذب أو يغش أو يخدع .

والأمانة صفة تشمل كثيرًا من الفضائل المادية والمعنوية ، كالمحافظة على حقوق الناس وقول الحق وكتمان السرّ ونحو ذلك .

وهاتان الصفتان وإن كانتا ضروريتين في جميع البشر ، غير أنهما في الأنبياء أشد ضرورة ، إذ لو جاز أن يكون النبيُّ كاذبًا أو خائنًا لغَيَّر الشرائع التي يتلقاها عن الله ، فيضيع الغرض المنشود من إرساله .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

**٢ - الفطانة :**

وهي الذكاء والنباهة مع كمال الرشد وسرعة الإدراك وقوة الحجة ، لأن الأنبياء مبعوثون إلى جماعات مختلفة ، فيهم الذكي والغبي والعالم والجاهل ، وفيهم من يحب الحق وينقاد إليه ومن يكابر ويعاند ، والرسالة تقتضي أن يكون النبي قادرًا على إقناع من يخاطبهم عارفًا بالطرق المؤثرة في الدعوة ، عالمًا بما يزيل الشكوك والشبهات من النفوس ليقيم الحجة على المعاندين ، ولذلك أعطاهم الله قوة العقل وسداد الرأي ، ومنحهم الحكمة والرشد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ

رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١] وقال سبحانه:
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٨٣].

## ٣ - السلامة من العيوب المنفرة:

فلا يمكن أن يكون في الأنبياء عيوب جسمية تجعل الناس ينفرون منهم، ويأنفون من الاجتماع بهم والاستماع إليهم واتباعهم، كالتشوه في الخلقة والقصر الفاحش ونقص الأطراف والحواس الهامة والأمراض السارية كالجذام والبرص ونحو ذلك، بخلاف الأمراض العارضة، فإنها تعتريهم كما تعتري سائر البشر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

## ٤ - التبليغ:

وهو أن يوصل ما أمره الله بتوصيله إلى الناس من العقائد والعبادات والشرائع والأحكام دون زيادة أو نقصان أو تحريف للكلم عن مواضعه.

والتبليغ نوع من الصدق والأمانة، غير أنه يذكر منفردًا في صفات الأنبياء لجليل أثره وعظيم أمره، إذ لولا هذه الصفة لما كان نفع من إرساله.

قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت: ١٨].

## ٥ - الذكورة :

لا ريب أن مهام النبوة شاقة تحتاج إلى صبر ومصابرة ، إذ الأنبياء مرسلون إلى جماعات مختلفة ، والإنسان في الغالب عدو لما جهل ، ولاشك أن المرأة بصورة عامة وفي الغالب أضعف جسمًا من الرجل وأقل تحملًا وأسرع عاطفة ، مما يؤثر في حكمها على الأمور ، أضف إلى ذلك ما يعتريها من الدماء الطبيعية عندها ، كالعادة الشهرية التي كثيرًا ما تؤثر في جسمها ومزاجها ، والنفاس الذي غالبًا ما يطول أمده ، وقد تجهض جنينها أو تكون مستحاضة ، فتعاني من نزف الدماء الذي يضعفها ، وربما تكون حاملًا أو مرضعًا تحتاج إلى رعاية خاصة ، وغير ذلك مما هو معروف ، والنبوة تحتاج إلى تفرغ ونشاط كاملين مع تحمل وصبر . قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

ومن ذلك يظهر للعاقل المنصف حكمة اللّه في عدم تكليف النساء بأعباء الرسالة التي تنوء بها كواهل الرجال الأشداء ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ [يوسف : ١٠٩] .

## ٦ - العصمة :

وهي لطف من اللّه تعالى يحمل النبي على حب الخير وفعله ، ويحفظه من فعل الشر والميل إليه ، مع بقاء الدافع

والاختيار تحقيقًا للابتلاء ، وتشمل ما يلي :

أ - العصمة من الفواحش والقبائح والمنكرات .

فلا يمكن أن يصدر عنهم ما يخل بالمروءة أو يخدش الكرامة ، كالغش والغدر والخداع والاحتيال وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على أعراضهم وغير ذلك من الصفات الذميمة التي لا تليق بالرجل العادي وتجعل الناس يكرهونه ، فكيف بالنبي المقرب ، فيستحيل أن يصطفي اللّه رجلًا شريرًا ويبعثه نبيًّا ، إذ كيف يصدق الناس من كان بالأمس يزني ويسرق ويقتل ، ثم يأتي ويقول : إني رسول اللّه إليكم فاسمعوا وأطيعوا ، ثم إنه سوف يأمر بالخير وينهى عن الشر ، فكيف ينهى عما فعله بالأمس ويفعله اليوم ؟!

ولا يمكن أن يصدر عنهم مخالفة لأمر اللّه كالكفر والشرك والفسق والضلال وغير ذلك من المعاصي ، لأننا مأمورون بالتأسي بهم في الأفعال والأقوال ، ولو جاز وقوعهم في المعاصي والفواحش ، لأصبحت المعصية مشروعة ، أو أصبحت طاعتهم غير واجبة ، وهذا غير معقول . ولذلك صان اللّه نفوسهم عن الانحراف ، وجعلهم القدوة الحسنة للبشر .

قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [ الأنعام : ٩٠] .

وقال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ب - العصمة من الخطأ أو النسيان في تبليغ الرسالة وأدائها ، فقد سدد الله أنبياءه وصانهم فلا يقرون على شيء من ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣- ٤] .

وقال سبحانه : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى : ٦] .

ولو جاز وقوع الخطأ أو النسيان منهم لما أصبح للناس ثقة فيما ينقلونه .

وصفوة القول : اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الأنبياء أشرف الناس نسبًا وأكملهم خلقًا وأوفرهم عقلًا وأكثرهم حكمة ، وقد صان نفوسهم عن الانحراف والخطأ ، وجعلهم أسوة ، فوجود هذه الصفات مجتمعة فيهم ضرورة لابد منها لتطمئن النفس إلى سلامة ما ينقلونه ويفعلونه ، ثم تتأسى بهم .

**أسفار العهد القديم تتهم الأنبياء بأمور تتنافى مع مركزهم :**

ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس حكايات عجيبة ، تتهم الأنبياء بأخسِّ الأعمال وترميهم بأحقر الصفات وأسوأ

النيات من مكر وخداع وغش واحتيال وزنى وغير ذلك مما تأباه المروءة ويتنافى مع كمال الرجولة ، فضلًا عن مقام النبوة السامي ، ونحن المسلمين لا نقبل هذه الاتهامات ولا نصدقها ، بل نراها محض افتراء عليهم ، وضع لأهداف وأغراض متنوعة . ومن تلك الاتهامات ما يلي :

١ - جاء في سفر التكوين( ٩/٢٠ - ٢٧ ) اتهام نوح عليه السلام بالسكر المطبق والتعري ، ثم الظلم في الدعاء على حفيده البريء والغافل كنعان بن حام ، ليس لأنه شاهده على هذه الحالة ، بل لأن أباه حام شاهده .

٢ - جاء في سفر التكوين ( ١٩/٣٠ - ٣٨ ) اتهام لوط عليه السلام بمضاجعة ابنتيه وإنجابه من الكبرى ابنًا اسمه موآب ، ومن الصغرى ابنًا اسمه عمون .

٣ - جاء في سفر التكوين اتهام يعقوب عليه السلام بما يلي :

أ - اتهامه باستغلال شدة جوع أخيه عيسو والامتناع عن إطعامه حتى يبيعه حق البكورية ليفوز بها ، فلما باعه ذلك وحلف له على ذلك أعطاه خبزًا وطبيخ العدس كما في ( ٢٥/٢٧ - ٣٤ ) .

ب - اتهامه بتواطئه مع أمه والكذب على أبيه الكفيف إسحاق ، وادعائه أنه عيسو ، ليسرق منه الدعاء بالبركة التي كانت لأخيه ، ثم جاء عيسو وعلم هو وأبوه بالأمر بعد أن

أُبرم الدعاء ليعقوب ، والأب يظنه عيسو ، فخرج الأمر من يده ، ولم يبق لعيسو إلا البكاء ، وكان يقول أليس لك إلا بركة واحدة يا أبي ، ثم حقد على أخيه يعقوب ، كما في ( ١/٢٧ - ٤٠ ) .

وفي هذه الحكاية من وجوه الخبث والغش ما يتنزه بيت النبوة عنه .

جـ - اتهامه بالمكر والخديعة عند قسمة الأموال مع خاله لابان ، كما في ( ٢٣/٣٠ - ٤٣ ) و ( ١/٣١ - ٢١ ) .

د - اتهامه مع أولاده بالغدر بالناس وقتلهم بعد إعطاء الصلح والأمان ، كما في ( ١/٣٤ - ٣١ ) .

٤ - جاء في سفر الخروج ( ١/٣٢ - ٦ ) و ( ١٩ - ٢٦ ) اتهام هارون عليه السلام بصناعة العجل الذهبي ليعبده بنو إسرائيل ويقربوا له القرابين على أنه إلههم وإله موسى .

٥ - واتهموا موسى عليه السلام بما يلي :

أ - جاء في سفر الخروج ( ٣٤/١٢ - ٣٦ ) اتهامه بأنه أمر بني إسرائيل أن يستعيروا النفائس من جيرانهم المصريين قبل الخروج ليسرقوها ويذهبوا بها . ويالها من أمانة وحسن جوار .

ب - وجاء في سفر العدد ( ١٠/٢١ - ٣ ) و ( ٢١ - ٢٥ ) و ( ٣١ - ٣٥ ) و ( ٣/٢٢ - ٧ ) و ( ١٦/٢٥ ) و ( ١/٣١ ) و ( ٧ - ١٢ ) و ( ١٤ - ١٨ ) و ( ٥٠/٣٣ - ٥٥ ) ، وفي سفر

التثنية ( ٢/٢٤ - ٣٦ ) و ( ٣/١ - ١١ ) و ( ٢٠/١٠ - ١٧ ) اتهامه ﷺ بارتكاب مجازر وإبادات جماعية وتطهير عرقي وجرائم حرب طالت النساء والأطفال والحيوانات في مدن الكنعانيين والأموريين وباشان والمديانيين ، مذابح لا تبقي ولا تذر ، وليس هذا فحسب ، ، بل أوصاهم أيضًا بالإبادة والتسخير بعد العبور ، فهل كان موسى ﷺ أكبر إرهابي عرفه التاريخ حسب زعمهم ؟!

٦ - واتهموا يشوع بن نون فتى موسى وخادمه والقائم بالأمر من بعده بما يلي :

أ - مجازر متتالية لا تبقي ولا تذر بعد العبور في أريحا وعاي وغيرهما كما في السفر المنسوب إليه ( ٦/١٦ - ١٧ ) و ( ٢٠ - ٢١ ) و ( ٨/١ - ٢ ) و ( ٢٣ - ٢٨ ) و ( ١٠/ ٥ - ١٠ ) و ( ١٥ - ١٧ ) و ( ٢٨ - ٤١ ) و ( ١١/١ - ١٥ ) و ( ٢١ - ٢٣ ) ، وياله من إرهاب .

ب - واتهموه بالإفراط في العقوبة وإقامة مذبحة للأبرياء من قومه كما في ( ٧/١٠ - ٢٦ ) .

٧ - واتهموا داود ﷺ بما يلي :

أ - جاء في سفر صموئيل الثاني ( ١١/١ - ٢٧ ) و ( ١٢/١٥ - ٢٥ ) اتهام داود بالتلصص ليلًا على جارته وهي تغتسل ، فأعجبه جمالها وزنى بها ، وكان زوجها في

جبهة القتال ، وحملت منه فأخبرته ، فما كان منه إلا أن عمل على تدبير قتل زوجها مع بعض الأبرياء ، ثم ضمها إلى نسائه .

ب - وجاء في سفر الملوك الأول ( ١/١ - ٤ ) اتهامه بمداعبة عذراء جميلة في شيخوخته . ويا لهذه الاتهامات من جرائم اجتماعية مخزية حاشاه منها .

جـ - وجاء في سفر صموئيل الثاني ( ٢٩/١٢ - ٣١ ) وسفر الملوك الأول ( ١٥/١١ - ١٦ ) اتهامه بمجاز وجرائم حرب مروعة .

٨ - وجاء في سفر الملوك الأول اتهام سليمان عليه السلام بما يلي :

أ - اتهموه بالزواج من نساء كافرات لا يحل له زواجهن ، فأَملْن قلبه إلى آلهتهن ، فبنى لهن بيوت الأوثان وقرب القرابين ، ثم مات مرتدًّا ، كما في ( ١/١١ - ١٠ ) .

ب - واتهموه بالظلم والقتل ، كما في ( ١٣/٢ - ٤٥ ) ، فزعموا أنه قتل الكاهن أبيثار وقائد الجيش يوآب متذرعًا بوصية والده ، وقتل شمعي بعد أن عفا عنه والده .

وهذا غيض من فيض ، فهل تقدم هذه الأسفار نماذج من السلوك الفاضل للبشرية ؟!

## إيمان المسلمين بالمسيح بن مريم :

يعتقد المسلمون أن عيسى المسيح عليه السلام ولد بقدرة الله

من مريم العذراء الطاهرة البتول من غير أن تقترن برجل البتة ، وإنما خلقه الله بأمره المتمثل بكلمة ( كن ) ، فكان الحمل ، ولما كان السبب المتعارف عليه في خلق البشر مفقودًا فيه ، كان اتصافه بكلمة ( كن ) أظهر من غيره ، فقيل له كلمة الله ، فالكلمة ليست المسيح ، ولكن بها خلق ، ولذلك ينسب إلى أمه ، فيقال عيسى ابن مريم عليه السلام .

ويعود نسب مريم عليها السلام إلى هارون عليه السلام فهي من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام ويدل على ذلك ما يلي :

١ - جاء في سفر العدد ( ١/٣٦ - ٩ ) أمر بأن يتزوج كل رجل بامرأة من سبطه ، وأن تتزوج كل امرأة برجل من سبطها ، لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه .

٢ - جاء في إنجيل لوقا ( ١/٥ ) أنه كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن من فرقة أبيًا اسمه زكريا له امرأة من سلالة هارون ، اسمها أليصابات .

فأليصابات من نسل هارون ، وقد تزوجت زكريا عليه السلام وهو من نسل هارون أيضًا ، لأن فرقة أبيا هي فرقة كبار الكهنة الهارونيين كما جاء في الفصل الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول ، فكلاهما من نسل هارون ثم لاوي .

٣ - جاء في إنجيل لوقا ( ١/٣٦ ) أن الملاك قال لمريم : « هانسيبتك أليصابات حبلى بابن في شيخوختها » فمريم إذًا

قريبة أليصابات زوجة زكريا عليه السلام لأن النسب هو القرابة ، وحيث إنها قريبتها ، فهي من السبط الذي هي منه ، ومن ثَم يكون المسيح عليه السلام هارونيًا لاويًا [1] .

فالمسلمون يعتقدون أن عيسى بن مريم عليه السلام عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، فحملت به ليس غير ، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل ، يواصل عملهم ويجري على سننهم إلى أن اكتمل البناء بمحمد صلى الله عليه وسلم فكان هو الحجر الذي أخره البناؤون ، وكان رأس الزاوية ، وكان الحلقة الأخيرة في سلسلة الأنبياء .

وقد مكث المسيح عليه السلام يبشر قومه بدعوته فترة محدودة ، لم يجتز خلالها الأقاليم اليهودية وما كان الناس يعرفونه إلا نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل ، جاءهم بتعاليم سامية بعد أن غرقوا في الماديات ، ولم يأت بشريعة جديدة ، بل كان يصرح بأنه إنما جاء ليخفف عن بني إسرائيل ويحل لهم بإذن الله بعض الذي حرم عليهم ، عقوبة لهم .

قال تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ

---

(١) إذا لاحظنا هذا كله يتبين لنا أنه إن كان لمريم خطيب اسمه يوسف النجار ، فهو هاروني لاوي أيضًا ، وليس من نسل داود .

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : ٧٥] [(١)] .

ويعتقد المسلمون أن عيسى ﵇ لم يقتل ولم يصلب ، بل رفعه الله إليه ، وإنما صلب من ألقى الله عليه شبهه .

قال تعالى في معرض الرد على اليهود الذين قذفوا مريم ﵍ بالزنى ، وادعوا أنهم صلبوا المسيح ﵇ وقتلوه : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ

---

( ١ ) من يراجع ثلاثة الأناجيل الأولى بوضعها الحالي رغم ما اعتراها ورغم افتقارها للتوثيق بالسند الصحيح المتصل لن يجد فيها ما يصرح بأن المسيح ﵇ إله أو ابن إله ، بل إنها تحتوي على نصوص كثيرة تدل بصراحة على أنه بشر ، وقد وُصف بالإنسان أو ابن الإنسان أكثر من سبعين مرة ، كما في متى ( ٢٠/٨ ) ، ( ١٩/١١ ) ، ( ٣٩/١٢ ) ، وفي مرقس ( ٢٢/٦ ) ، ( ١٢/٩ ) ، ( ٦٢/١٤ ) ، وفي لوقا ( ٥٦/٩ ) ، ( ٤٧/٢٣ ) ، وفي يوحنا ( ٥١/١ ) .
وجاء أيضًا ما يشعر أنه مجرد نبي مرسل ، كما في متى ( ٥٦/١٣ - ٥٧ ) ، ( ١٠/٢١ - ١١ ) وفي لوقا ( ٤٣/٤ - ٤٤ ) ، ( ٣٣/١٣ ) ، ( ١٩/٣٤ ) ، وفي يوحنا ( ١٩/٤ و ٢٨ - ٢٩ ) ، ( ٤٠/٧ - ٤١ ) ، ( ١٧/٩ ) .
وجاء ما يدل على أنه عبد ، كما في متى ( ٤٥/٢٧ - ٤٦ ) ، ومرقس ( ٣٢/١٣ ) .
وجاء ما يدل على أنه إنما أرسل إلى بني إسرائيل ، كما في متى ( ٦٥/١٠ ) ، ( ٢٢/١٥ - ٢٨ ) ، ( ٦/٢ ) ، وفي يوحنا ( ١٣/١ ) .

أَللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦- ١٥٨] (١) .

(١) جاء في إنجيل برنابا ( ١١/١٢ - ١٧ ) : بل أقول لك : إنني لو لم أدع إلهًا لكنت حُملت إلى الجنة عندما أنصرف من العالم ، أما الآن فلا أذهب إلى هناك حتى الدينونة ، وعليه فإني على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي ، لأن الله سيصعدني من الأرض ، وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي ، ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة ، أمكث في ذلك العار زمنًا طويلًا في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة .

وقد أنكر كثير من المسيحيين بعد حادثة الصلب أن يكون المسيح نفسه هو الذي حوكم ورفع على الصليب ، وأصروا على أن الذي ألقي عليه القبض وصلب هو أحد أتباعه ، سواء كان يهوذا الإسخريوطي أو آخر يشبه المسيح ، فصلب بدلًا منه ، وممن اعتقد بهذا الرأي الكورنيثون والبازيليون والقرابوقراطيون وغيرهم . انظر كتاب محمد في الكتاب المقدس لعبد الأحد داود ( ص٢٧٧ ) .

ومن يمعن النظر في حادثة الصلب التي وردت في أربعة الأناجيل يجد الاضطراب والتضارب في الرواية ، ومن يقابل أقوال المسيح عليه السلام في أثناء دعوته وتنديده بالفرنسيين بإجابات المقبوض عليه أمام الحاكم الروماني يستبعد أن تكون تلك الإجابات أقوال المسيح عليه السلام .

# الإسلام والبشرية الحائرة




## دلائل نبوة محمد

ويحتوي على الفرعين التاليين :

- **الدلائل التي في ذاته وصفاته .**
- **الدلائل الخارجة عن ذاته وصفاته ،**

وفيه مبحثان :

**أ - معجزاته المادية وإخباره بالغيب .**

**ب - المعجزة الكبرى ( القرآن الكريم ) .**

## الدلائل التي في ذاته وصفاته

**توطئة :**

الانطباع السائد في نفوس أكثر الغربيين أن محمدًا ﷺ أتيح له الاتصال ببعض النصارى في زمنه ، فقبس عنهم بعض المبادئ ، ثم لم يلبث أن أقام عليها بناء دين جديد ، فكتب فيه أو استكتب القرآن محاكيًا التوراة والإنجيل ، محتجين بأن ثمة أقوالًا قرآنية في التاريخ الديني وغيره تعيد أقوال كتابهم المقدس ، ومحمد ﷺ لم يفعل أكثر من النقل عنه ، وزعموا أنه وقع في مخالفات لدى النقل والعرض ، كل ذلك بقصد استبعاد الوحي والنبوة عنه ، مع أنه ﷺ قد اجتمع له من دلائل النبوة ما لا يجتمع مثلها إلا لنبي ، وهي نوعان : دلائل في ذاته وصفاته ، ودلائل خارجة عن ذاته وصفاته ، بالإضافة إلى حتمية بشارات الأنبياء به في أسفارهم .

**شرف نسبه :**

جعل اللّٰه سبحانه إبراهيم عليه السلام إمامًا للناس ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب ، ومحمد ﷺ من هذه الدوحة ، إذ ينتهي نسبه

من جهة والديه إلى إسماعيل بكر إبراهيم عليه السلام [1] .

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم [2] .

فهو من قبيلة قريش صفوة بني إسماعيل - عليه السلام - ومن بني هاشم صفوة قريش ، وهو صفوة بني هاشم ، فهو خيار من خيار من خيار .

## خلقته وصورته التي توحي بالثقة :

يظهر على وجه الرجل الصادق البار من صفاء نفسه وبهجة وجهه ما يعرف به حاله ، فيوحي للمتوسمين بالثقة والطمأنينة ، ثم يتضح ذلك ويتأكد بعد المخالطة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه .

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه - وكان من علماء اليهود - قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وانجفل الناس قبله ، فقالوا : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجئت في الناس لأنظر وجهه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب [3] .

(١) يلتقي نسب أبيه وأمه في كلاب بن مرة .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده .

## صفاته العظيمة :

الناس معادن ، فيهم صفات وخصائص متنوعة ، ومحمد ﷺ كما كان من أشرف الناس نسبًا ، هو أيضًا من أكمل الناس في الصفات الحميدة والخصائص العظيمة السامية ويشمل ذلك ما يلي :

أ - **أخلاقه الكريمة** : فقد جبله الله على خلق يحبه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، نشأ بين قومه ولم يزل معروفًا بينهم بالصدق والأمانة والبر وغير ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وبالنفور من كل وصف مذموم وعادة قبيحة ، يسبق حلمُه جهلَه ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا ، وما جُربت عليه كذبة قط ، شهد له بذلك جميع من يعرفه قبل النبوة وبعدها ، من آمن به ومن كفر ، وقومه المعادون له مازالوا معترفين بصدقه مقرين بأمانته ، بل كانوا يلقبونه قبل البعثة بالصادق الأمين ، وهذا مستفيض بينهم فقد كانوا يحبونه جميعًا ، ولذلك مدحه الله ﷻ في القرآن الكريم فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] فلولا أنه ﷺ كان كذلك لكذبه قومه ، واحتج به من كفر على من آمن ، لأنه يفتح عليه بابًا كبيرًا للخصومة وإبطال ما ادعاه .

ب - **شفقته وتواضعه** : فقد كان عظيم الرحمة شديد الحنان حتى على أعدائه ، وكان في غاية التواضع وطيب

النفس ، ولاسيما مع الفقراء والضعفاء ، يتودد إلى أهل الصدق والخلق الكريم من المساكين ، ويفضل مجالستهم على الأثرياء والوجهاء .

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : رأى سعد أن له فضلًا على من دونه فقال له النبي ﷺ : « **هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم** »[1] .

وعند النسائي : إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم .

ومن الجدير بالذكر والانتباه أنه ﷺ بقي على هذه الصفات والخصائص إلى آخر عمره ، ويتجلى ذلك بعد فتح مكة ، فقد أعطى الأمان لأهلها ، ثم دخلها راكبًا الناقة مطأطئًا رأسه تواضعًا لله ، ولما وقفوا أمامه ، وهم الذين أرادوا قتله وطاردوه وحاربوه وألبوا عليه ، قال : « **ما تظنون أني فاعل بكم ؟** » قالوا : خيرًا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : « **لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء** » . فلم يعف عنهم فحسب ، بل نفى اللوم عنهم .

(١) أخرجه البخاري وأحمد .

## الدلائل الخارجة عن ذاته وصفاته

وهي كثيرة متنوعة ، وأهمها معجزاته المادية التي أجراها الله على يديه تصديقًا له مع إخباره بالغيب ، والقرآن الكريم المعجزة الخالدة .

### أ - معجزاته المادية وإخباره بالغيب

**معجزاته المادية :**

وهي أمور خارقة لقوانين الطبيعة - وليست استغلالًا لها مما يكتشفه الإنسان قبل غيره - أجراها الله تعالى على يديه تأييدًا لنبوته ، رآها من أصحابه وأعدائه ، وكانت مدعاة لإيمان الكثيرين منهم بعد بحث وتمحيص ، مثل تكليم الجمادات وانقيادها له ، وتكثير الطعام والشراب ليكفي العدد الكثير ورد بصر الأعمى وغير ذلك .

وقد مضت وانقضت ، ولم يبق منها سوى النقل الثابت بالتواتر ، أو بالخبر المشهور المستفيض ، أو بالسند العزيز ، أو على الأقل بالسند الصحيح المتصل حسب علم أصول الحديث في نقل الأخبار وروايتها ، فمعجزة تكثير الطعام

أو الشراب القليل ، قد تظاهرت الأحاديث بأسانيدها الصحيحة المتصلة في نقلها ، ورواها الجم الغفير واستفاضت حتى تواترت تواترًا معنويًا وصل إلى درجة القطع .

**إخباره بالغيب :**

أخبر النبي ﷺ عن مغيبات كثيرة ومتنوعة ، لا يمكن لأحد أن يعلمها إلا بتعليم اللَّه له ، وهذا إعجاز دالٌّ على صدقه ، بل هو أحد أدلة نبوته عند أهل الكتاب ، ففي توراة اليهود أن موسى عليه السلام بشر بنبي يأتي من بعده يماثله ، وبين لهم أوصافه ، وكان منها أنه يخبر بغيب ويتحقق ما أخبر به ، ففي سفر التثنية ( ١٨/٢١ - ٢٢ ) : « وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي ، فلا تخف منه » .

**والغيوب ثلاثة أنواع** : غيوب سابقة متقدمة على زمانه ، وهذا إخبار بالغيب الماضي ، وغيوب غابت عنه وعن أصحابه حال حياتهم في زمانه . وغيوب آتية في المستقبل بعد زمانه . والإخبار بهذه الغيوب منه ما ورد في القرآن الكريم ، ومنه ما ورد في السنة المشرفة بروايات صحيحة صريحة واضحة .

## ١ - الإخبار بالغيب الماضي :

أخبر النبي ﷺ عن بعض وقائع الأمم المتقدمة خبرًا مفصلًا بالمقدار الذي يفي بالغرض ، وهو على ضربين :

١ - ضرب لا يعرفه أهل الكتاب ، ولم يذكر في كتبهم البتة ، كقصة هود وما جرى له مع قومه عاد ، وقصة صالح وما جرى له مع قومه ثمود ، وقصة شعيب وما جرى له مع قومه في مدين .

وقد أنكر بعض المستشرقين وجود هذه الأقوام ، ثم لم يلبثوا أن رجعوا عن إنكارهم عندما فجأهم الحق عن طريق الأحافير والتنقيب الأثري وغير ذلك مما لا يمكن رده لاشتهاره .

٢ - ضرب مذكور في أسفارهم ، كقصة آدم وحواء ونوح وإبراهيم ولوط ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام غير أن القرآن الكريم لا يسرد القصة سردًا كما جاءت في أسفار أهل الكتاب ، بل يزيد عليها أمورًا يجهلونها ويصحح لهم كثيرًا من الأخطاء التي وقعت فيها .

● فمما كانوا يجهلونه ولم يذكر في كتبهم قصة ابن نوح عليه السلام وكفره بنبوة أبيه وغرقه بالطوفان بعد أن نصحه أبوه ولم يقبل ، وقصة إقامة إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه ، ثم إضرامهم النار لإحراقه وإنجاء الله له ، وقصة إيمان امرأة

فرعون ، وإنجاء الله جسد فرعون بعد غرقه ليكون لمن خلفه آية ، وقد أثبت الكشف الأثري والتحليلي عن وجود جثة لأحد الفراعنة مات صاحبها غرقًا ، وقصة تكليم المسيح عليه السلام الناس وهو في المهد وغير ذلك .

● ومما صححه لهم من أغلاط أن الذي صنع لبني إسرائيل العجل الذهبي في غياب موسى عليه السلام هو السامري ، وليس نبي الله هارون عليه السلام وقد نصحهم لكنهم أصروا ، وأن مريم أجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، فولدت المسيح عليه السلام هناك . ونزول المائدة على الحواريين بطلب منهم ثم بدعاء المسيح عليه السلام وأنه لم يقتل ولم يصلب ، بل رفعه الله إليه ، وشُبه المصلوب لهم ، وغير ذلك .

**الدليل على أن هذه القصص وحي :**

من المعروف أن الذي ينتحل علمًا ويتقول به أمام الناس ، إما أن يكون قرأه في كتاب ثم نسخه ونسبه إليه ، وإما أن يكون استفاده من إنسان مدارسة أو تلقينًا وحفظًا ، ومحمد ﷺ لا يمكن أن يحدث معه شيء من هذا أو ذاك البتة ، وإليك الأدلة .

● **فمما يدل على أنه لم يأخذه من كتاب ما يلي :**

١ - من الثابت المنقول بالتواتر أن محمدًا ﷺ كان أميًا لا يعرف الكتابة ولا القراءة باللغة العربية ، فضلًا عن أن

يحسن غيرها ، وقد أنزل عليه الله في القرآن الكريم : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، وقومه يعلمون علم اليقين أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب منذ ولد إلى أن توفاه الله ، ولو كان ثمة شيء من ذلك لقالوا : لعله أخذه عن كتاب ما ، ولارتاب أصحابه الذين آمنوا به بعد نزول هذه الآية ، وقالوا له : كيف تدعي أنك أمي وأنت تحسن القراءة والكتابة ؟ ولارتاب أيضًا أهل الكتاب وقالوا : إن النبي المبشر به في كتبنا أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا يقرأ ويكتب ، فلعله أخذه عن كتبنا .

جاء في سفر التثنية ( ١٨/١٨ ) أن الرب قال لموسى عليه السلام : « أقيم لهم نبيًا من بين إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل شيء وآمره به » . فهذا يدل على أن النبي المبشر به يشبه موسى عليه السلام في أفعاله وأقواله وأحواله ، ويشير أيضًا إلى أنه أمي ، وسوف ينزل الله على قلبه كتابًا يحفظه ، ويظهر للناس من فمه . ولم يقم في الدنيا نبي أمي سوى محمد ﷺ وقد ظهر القرآن الكريم كتاب الله للناس من فمه .

٢ - من المعلوم أن العهد القديم لم يترجم إلى اللغة العربية في ذلك الوقت ، وأول ترجمة له إلى اللغة العربية كانت عند منصرم العهد الأموي أو في أوائل

العصر العباسي[1] .

**● ومما يدل على أنه لم يتعلم من إنسان ما يلي :**

١ - قد علم بالتواتر أن قومه لم يكونوا يعرفون هذه القصص ولا أمثالها ، بل كانوا أميين عارين عن العلوم العقلية ، قلَّ فيهم من يحسن القراءة والكتابة . قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة : ٢] ، أي بعث في الأميين رسولًا أميًا مثلهم .

وقال سبحانه : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود : ٤٩] .

٢ - إن قومه الذين وُلد ونشأ بينهم وأحبوه قبل البعثة كانوا أشد الناس عداوة له وأحرصهم على إبطال أمره بعدها ، ولو أنه تعلم من بشر لعلموا بذلك وأظهروه للناس ، ولاسيما أصحابه الذين تحملوا الأذى بعد الإيمان به ، فقد كانت مكة من الصغر بحيث يعرف أهلها أخبار بعضهم معرفة تامة ، وهم يعلمون أنه لم يغادر مكة قبل البعثة

(١) عن أبي هريرة ﷺ قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال النبي ﷺ : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا** » [ أخرجه البخاري ] .

إلا مرتين تحت سمعهم وبصرهم في أثناء ذهابه وعودته ، ولم يفارقوه لحظة من حياته ، ومن حكمة اللَّه أنه لم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب .

قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [ يونس : ١٦] .

٣ - لو أنه تعلمه من علماء أهل الكتاب مع عداوتهم وحربهم له لأخبروا بذلك وأظهروا الأسماء والأوقات والجلسات ، وأشهدوا الشهود وذكروا الأدلة لقومه فأبطلوا أمره بدلًا من أن يتحالفوا معهم على حربه ، ولو فعله بعضهم لنقل إلينا ، فإن الدواعي تتوافر على نقل أقل من هذا .

٤ - لو أنه تعلم من أهل الكتاب لما زاد تلك الزيادات ، ولما خطأهم في كثير مما ذكروه ، بل لوافقهم فيما تعلمه منهم ، وسرد القصص مجملة ، حتى لا يفتح على نفسه باب معارضتهم ، إذ لا يليق بالعاقل أن يقدم باختياره على فعل يبطل مقصوده .

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [ يوسف : ١٠٢] .

### ب - الإخبار بما غاب عنه في زمانه :

أطلع اللَّه سبحانه نبيه محمدًا ﷺ على أمور حدثت في

زمانه غاب عنه وعن أصحابه ﷺ وقوعها وخبرها ، فذكرها لهم على سبيل التفصيل رغم بعد المكان ، فما كانوا يجدون في ذلك كله إلا الصدق والدقة والحق . ومن ذلك ما يلي :

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أَمَّر النبي ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة [١] .

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ، ففُتح له [٢] .

أرسل النبي ﷺ جيشًا لتأديب الروم وأتباعهم من العرب الذين قتلوا حامل رسالته ، فأَمَّر ثلاثة فقط ، وفوجئ المسلمون بكثافة جند الروم ، فقاتلوا وقُتل أمراؤهم الثلاثة ، ثم أنقذ خالد بن الوليد ﷺ الجيش بخطة محكمة ، وأخبر النبي ﷺ أصحابه بما جرى وهم بالمدينة ، مع أن مؤتة قرية ببلاد الشام في منطقة الكرك ، فهي بعيدة جدًا .

٢ - كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بعزم النبي ﷺ على الخروج إليهم ، وأرسل الكتاب مع امرأة خبأته في ضفائر شعرها وانطلقت ، فأطلع الله نبيه ﷺ

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه البخاري والنسائي .

على ذلك ، فبعث عليًا والزبير ﭭ فأدركا المرأة على بعير ، فقالا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي من كتاب . فابتغيا في متاعها فلم يجدا شيئًا ، فقالا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . فأخرجته من عقاصها ، فأتيا به النبي ﷺ فقال : ما هذا يا حاطب [1] ؟

فالنبي ﷺ كان حريصًا على كتمان الأمر لمفاجأة أهل مكة ومصالحتهم بدلًا من الحرب وإراقة الدماء ، لكن حاطبًا ﷺ أخطأ في فعلته ، فأطلع اللّٰه نبيه على ذلك فعاتب حاطبًا وعفا عنه ، ولما سار الجيش قال : اللهم خذ العيون عن قريش .

٣ - أطلع اللّٰه سبحانه نبيه ﷺ على أسرار المنافقين واليهود وسائر المشركين الذين كانوا يتواطؤون ويتآمرون في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد بالنبي ﷺ وبالمسلمين ، حتى إن بعض الأفراد عزموا في أنفسهم على السفر إلى المدينة والمراوغة في الكلام للتمكن من قتله ، وقد تكرر هذا منهم ، فكان اللّٰه سبحانه يطلعه على تلك الأحوال حالًا بعد حال ، فما يجدون إلا الإقرار ، وكان ذلك سببًا في دخول كثير منهم في الإسلام .

### جـ - الإخبار بالغيب المستقبل :

أخبر النبي ﷺ عن أمور وحوادث كثيرة تقع في

(١) أخرج الخبر الشيخان .

المستقبل اللاحق ، فمنها ما وقع في زمانه ورآه أصحابه ﷺ على الوجه الذي أخبر ، ومنها ما وقع بعد زمانه فأتت كما قال ، ورآها من بقي من أصحابه مع التابعين ، ومنها ما وقع بعد ذلك ونقل إلينا ، ومنها ما لم يقع حتى الآن والمسلمون ينتظرون وقوعه .

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت ، فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه [١] .

وعند أبي داود قال : واللّه ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا ، واللّه ما ترك رسول اللّه ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا يبلغ معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

وعن عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ قال : صلَّى بنا رسول اللّه ﷺ الفجر ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل ثم صلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا [٢] .

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد .

**• فمما أخبر عنه ووقع لاحقًا ورآه أصحابه ما يلي :**

١ - عن عدي بن حاتم ﷺ قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل . فقال : يا عدي ، هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها . قال : إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا اللّٰه تعالى .. ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه .. قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، ولا تخاف إلا اللّٰه ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ يخرج الرجل ملء كفه [1] .

فقد أخبر النبي ﷺ بذلك والمسلمون مستضعفون في الأرض ، فتم ما أخبر به ، فتحت بلاد الفرس وغنم المسلمون كنوز ملكها كسرى بن هرمز ووزعت عليهم ، واغتنى الناس حتى لم يعد ثمة فقير يقبل الزكاة ، ولاسيما في زمن الخليفة الراشد عثمان ابن عفان ﷺ والخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، فكان الغني يخرج زكاة ماله فلا يجد

---

(١) أخرجه البخاري .

من يقبلها منه لاستغناء الناس وورعهم الذي يمنع الطمع .

٢ - عن خَبَّاب بن الأَرَتِّ ﷺ قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة - زاد في رواية : وقد لقينا من المشركين شِدة - ، فقلنا : ألا تدعو لنا ؟ فقال : « **قد كان مَنْ قبلكم ، يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض ، فيُجعل فيها ، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويُمْشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليُتِمَن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاءَ إلى حَضْرموتَ لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون** » [1] .

**● ومما أخبر ووقع بعد زمانه ورآه الناس ما يلي :**

١ - عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناق الإبل ببُصرى** » [2] .

وقد خرجت هذه النار عام ٦٥٤هـ في الحجاز من جانب المدينة الشرقي على بعد مرحلة منها ، وكان إقبالها من المشرق ، سال بها الوادي بعد أن تقدمها زلزال ، ولازالت آثارها البركانية باقية ، يعرفها أهل المدينة ، ونقل المؤرخون عن بعض الأعراب في بصرى أنهم رأوا صفحات

(١) أخرجه البخاري .
(٢) أخرجه الشيخان وغيرهما .

أعناق إبلهم في ضوء تلك النار [١] .

٢ - عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا نرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ .... قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : « **ما المسؤول عنها بأعلم من السائل** » . قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : « **أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان** » .. الحديث [٢] .

فالحفاة العراة رعاء الغنم وهم أشد الناس فقرًا تبسط لهم الدنيا ، فيتنافسون ويتفاخرون بالعمارات الشاهقة ، وقد رأينا هذا ، حيث أضحى الأعراب يبنون أبراجًا ناطحة للسحاب . أما قوله « **أن تلد الأمة ربتها** » ، فهو كناية عن كثرة التسري بالإماء وما يصاحبه من فساد ، وقد حدث هذا ، ولاسيما في عصر المماليك .

٣ - عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ،**

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ( ١٣/١٩١ ) ووفاء الوفا للسمهودي ( ١/١٤١ - ١٥١ ) .

(٢) أخرجه مسلم .

**رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »** [1] .

فالصنف **الأول** أعوان الظلمة الذين يلازمون أدوات التعذيب ، وقد نزعت الرحمة من قلوبهم ، **والصنف الثاني** النسوة اللاتي يسترن بعض أبدانهن ويكشفن بعضًا آخر ، ويتكلفن في المِشية فيملن أكتافهن وأكفالهن ، وقد صففن شعر رؤوسهن بأنواع من الترجيلات ، بحيث تغدو رؤوسهن كأسمنة الأبعرة البختية ، وقد حدث هذا كله في زمننا ، فكأن النبي ﷺ رآهن .

**● ومما اخبر به ولما يقع والمسلمون ينتظرون وقوعه ما يلي :**

١ - عن عوف بن مالك ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة أدم ، فقال : « **اعدد ستًا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال ، حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا** » [2] .

وكان موته ﷺ من أعظم المصائب التي حلت

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد .

(٢) أخرجه البخاري وأحمد والبغوي .

بالمسلمين ، حيث انقطع الوحي ، وزلزل المسلمون بالفتن ، ثم تم فتح بيت المقدس سنة ( ١٦هـ - ٦٣٦م ) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ وبعد فتح بيت المقدس انتشر مرض الطاعون في بلاد الشام عام ١٨هـ على المشهور وهو المعروف بطاعون عَمَواس ، مات فيه من المسلمين قرابة خمسة وعشرين ألفًا ، فأخذهم كقعاص الغنم (١) ، ثم فاض المال في خلافة عثمان ﷺ ثم في خلافة عمر بن العزيز ﷺ وكان أول فتنة ظهرت قتل الخليفة الراشد عثمان ﷺ وبقتله فتح باب الفتنة على مصراعيه ، فانتشرت الأهواء ، وكثر الاختلاف وتشعبت الآراء وماج الناس واقتتلوا . أما غدر الروم فلم يقع إلى الآن ، وسيحدث بإذن الله ، وقد وضح النبي ﷺ ملابساته في الحديث التالي :

عن ذي مِخْمَر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ستصالحون الروم صلحًا آمنًا ، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم ، فتنصرون وتغنمون وتسلمون ، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تُلول ، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول : غلب الصليب . فيغضب رجل من المسلمين فيدقه ، فعند ذلك تغدر الروم وتجتمع للملحمة** » (٢) .

(١) القُعاص : بضم القاف وتخفيف العين - داء يأخذ الغنم ، لا يُلبثها أن تموت فجأة .

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد وغيرهم .

٢ - عن حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا عاضًا ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا جبريًا ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت** » (١) .

ونحن الآن في زمن الملك الجبري ، وقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في وصف الملك الجبري « ثم يتكادمون عليه تكادم الحمير » (٢) ، وننتظر الخلافة الراشدة الأخيرة .

٣ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل أي المدينتين تفتح أولًا ، أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **مدينة هرقل تفتح أولًا** » يعني قسطنطينية (٣) .

وقد تحقق فتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح رحمه الله وسماها إسلام بول ، وكان فتحًا رحيمًا ، والمسلمون ينتظرون الفتح الرحيم الآخر لروما .

(١) أخرجه أحمد والبزار والطيالسي . وصححه العراقي من طريق أحمد ، وأخرجه البزار والطيالسي بأتم منه ، وروى الطبراني في الأوسط بعضه . وقال الهيثمي : ورجاله ثقات .
(٢) الكَدْم : العض بأدنى الفم ، وهو فعل الحمير ، فشبههم ﷺ بها .
(٣) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وغيرهم .

## ب - المعجزة الكبرى ( القرآن الكريم )

### تعريفه :

القرآن الكريم كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ بلسان عربي مبين ، ليكون بشيرًا ونذيرًا للعالمين ، جعله الله هدى ومنهاجًا للمتقين، ودستورًا شاملًا كاملًا إلى يوم الدين .

ظهر للناس من فم النبي ﷺ فحفظه من حفظه ، وكتبه من كتبه ، ثم نقل بلغته ولهجته . وطريقة قراءته حفظًا وكتابة بالتواتر من جيل إلى جيل ، حتى وصل إلينا سالمًا من التحريف والتغيير ، لم يوثق في الدنيا على مر الزمان كتاب كما وثق القرآن الكريم .

وهو المعجزة المعنوية الكبرى الخالدة على وجه الدهر ، والآية الباقية على تمادي الزمن ، تتحطم الدهور ولا تفنى عجائبه ، وتنقضي السنون ولا تبلى بدائعه .

### وجوه إعجازه :

وهي كثيرة متنوعة ، يراها من حقق ودقق بتجرد وموضوعية ، منها ما يلي :

**١ - الإعجاز اللغوي :**

كان العرب قبل البعثة وبعدها في غاية الفصاحة والبيان ،

وكانت المنافرات الأدبية بينهم شعرًا ونثرًا قائمة على قدم وساق ، ولاسيما في المناسبات المعروفة ، ولهم خبراء يحكمونهم فيما بينهم ، فكم من قبيلة علا شأنها بشاعرها أو خطيبها ، وكم من حرب نشبت بسبب ذلك ، فأنزل اللّٰه سبحانه القرآن الكريم على محمد ﷺ بأسلوب جديد ، ليس شعرًا ، ولا نثرًا كنثر العرب ، وفي الدرجة العالية من الفصاحة التي لم يعهد مثلها في تراكيب العرب ، عرف ذلك فصحاؤهم فتقاصرت عنها درجة بلاغتهم ، ويعرفها علماء النقد بمقدار مهارتهم في فن البيان .

تحداهم أن يأتوا بمثله في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وتحداهم أيضًا أن يأتوا بسورة من مثله في المبنى والمعنى مرة بعد مرة ، وأخبرهم أنهم لن يستطيعوا ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣، ٢٤] .

فخضعت أعناقهم لبلاغته ، وذلت كبرياؤهم لفصاحته ، وعجزوا عن معارضته ، فلولا تيقن ذلك لما أقدم على التحدي .

ولو أنهم أتوا بالمعارضة لكان اشتهارها أولى من اشتهار

القرآن الكريم نفسه ، ولو أنهم كانوا قادرين عليها لم عَدَوا عنها إلى الاضطهاد والتنكيل بمحمد ﷺ وبمن آمن به قبل الهجرة ، وإلى حربه وتجميع الأحزاب ضده بعدها ، مع أن المعارضة لو قدروا عليها أسهل في إبطال أمره من تلك الحروب الطاحنة .

وقد تحمل من آمن به العذاب ونقص المال ومعاداة الأهل والأقارب في سبيل ذلك ، ولو كان من سبيل للمعارضة - والفصاحة مبثوثة بين الرجال والنساء - لما تحملوا هذه المشقة .

أضف إلى ذلك أن للقرآن حلاوة عند القارئ والسامع ، فهو متجدد عند قارئه يقرؤه فلا يسأمه ، وعند سامعه يسمعه فلا يمله ، بل إن تكراره يوجب زيادة التعلق به ، بخلاف غيره ، وقد انجذب إلى الاستماع إليه أهل الجاهلية في زمن النبي ﷺ فكان كثير منهم يأتي سرًّا لاستماع قراءة النبي ﷺ وهو يقرأ في الليل ، ثم يخفون ذلك عن كبارهم ، وقد رأينا بعض الناس من غير المسلمين في زمننا يأنس لسماع تلاوته .

## ٢ - الإعجاز المعنوي :

وهو أعظم من الإعجاز اللغوي ، وعجز عقلاء البشر ومفكريهم عن الإتيان بمثل ما فيه من معان وتشريع أعظم من عجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثل لفظه ، ويظهر ذلك فيما يلي :

### أ - الإعجاز التشريعي :

حوى القرآن الكريم من العلوم في العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع وغير ذلك مما يحتاجه الناس في دنياهم وأخراهم .

فقد أخبر القرآن الكريم عن الله وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله وملائكته ، وعن الموت والمعاد والحساب والجنة والنار ، وعن العبادة والأخلاق وأثرهما في إصلاح النفوس والسعي إلى نجاتها وكمالها وسعادتها ، مما ليس في غيره من الكتب .

وجاء أيضًا بتشريع عادل كامل شامل متكامل صالح ومصلح لكل زمان ومكان ، جمع بين المثالية والواقعية من غير أن تطغى إحداهما على الأخرى فيحصل الخلل في حياة الناس .

واشتمل أيضًا على كثير من المبادئ السامية في أحوال الناس وسياسة الدنيا بما فيه من أمثلة ودلائل يقينية تشهد بعظمته وأصالته .

### ب - الإعجاز العلمي :

لا يهدف القرآن الكريم إلى عرض القوانين التي تسود نظام الكون في ميادين الطبيعة أو الفلك أو فيما يخص جسم الإنسان من العلوم الطبية أو نحو ذلك ، بل إن له هدفًا دينيًّا جوهريًّا معروفًا في إسعاد الإنسان في حياته وبعد

مماته ، ومع ذلك فقد احتوى على معارف لم تكن تعرف في ذلك الزمن ، وفيه من الحقائق العلمية والظاهرات الطبيعية ما لم يكتشفه الناس إلا في العصر الحاضر ، وما يهل عصر حتى تتكشف معاني القرآن للناس في بعض النواحي أكثر مما تكشفت لأسلافهم ، والقرآن الكريم إذ يثير هذه الوقائع ذات الصفة العلمية ، فإنما يرمي منها أن تكون إشارات ودعوات للملاحظة الإنسانية كي تدرك من ورائها عظمة الخالق العليم . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [ فصلت : ٥٣ ] (١) .

**التوافق التام بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية :**

لاريب أن الأكوان تسير وفق نظام دقيق عجيب ، فيه حقائق علمية ثابتة قدرها اللّه ، والعلماء إنما يحاولون اكتشافها واستغلالها ، ولاريب أن القرآن الكريم كلام اللّه خالق الأكوان والعوالم ، لذا كان من أمحل المحال أن تتعارض حقيقة علمية مع حقيقة قرآنية ، وإذا ظهر لأحد

( ١ ) شهادات الباحثين الغربيين في ذلك كثيرة جدًّا ، ومنهم المفكر الفرنسي الدكتور موريس بوكاي الذي اعتنق الإسلام ، فقد ألف كتابًا بعنوان ( التوارة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث ) خَرَج فيه بنتيجة هي أن القرآن وحده هو الذي يقف صامدًا أمام العلم الحديث الذي ثبتت قطعيته ، كما ذكر في مقدمة الكتاب .

تعارض بينهما ، فإن هذا ناتج عن خطأ في فهم إحدى الحقيقتين قطعًا ، ولابد من إعادة النظر فيهما من جديد ، فكثيرًا ما يكون الأمر المكتشف مجرد فرض أو احتمال أو ظن ، فيسارع بعض الناس ويقولون هو حقيقة علمية ، مع أن الفرضيات والاحتمالات إنما هي آراء لم تكتمل دراستها ، فضلًا عن أن تصل إلى درجة الحقيقة العلمية ، وكم رجع العلماء عن نظريات كانت مسلمة عند سلفهم . أما الحقيقة القرآنية ، فلابد من أن تكون قطعية الدلالة حسب اصطلاح علماء أصول الفقه ، أو على الأقل جرى تفسير النص القرآني وفق الأصول المتبعة في علم أصول التفسير ، فإنَّ فهم واحد من علماء المسلمين لقضية قرآنية لا يعد حجة البتة .

**وصفوة القول** : إذا التقت الحقيقة القرآنية مع الحقيقة العلمية فهو الأصل ، لأن كلتيهما من عند الله ، وإذا ظهر تعارض فثمة خطأ في فهم إحدى الحقيقتين .

## أمثلة الإعجاز العلمي :

**١ - مدار الشمس ومدار القمر** : قال تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٧- ٤٠] .

فالقرآن يذكر بوضوح وجود مدار لكل من الشمس والقمر ، ويشير إلى تنقل هذين الجرمين في الفضاء ، كلٌّ بحركة خاصة .

**٢ - توسع الكون : قال تعالى :** ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

**٣ - تلقيح النبات بوساطة الرياح : قال تعالى :** ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر : ٢٢] وهي حقيقة اهتدى إليها العلم حديثًا ، فكل نبات له خلايا تذكير وخلايا تأنيث ، إما مجتمعة في زهرة واحدة أو في زهرتين في العود الواحد ، أو منفصلة في عودين أو شجرتين ، والذي ينقل غبار الطلع من خلايا التذكير إلى خلايا التأنيث الرياح في الدرجة الأولى . وهذه الحقيقة لم تكتشف إلا بعد صنع المجهر العادي .

**٤ - تكون اللبن في أنثى الحيوان : قال تعالى :** ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل : ٦٦] .

فالدم واللمف يوصلان الغذاء إلى الغدد الثديية التي تصنع وتفرز اللبن وفق عملية معروفة في علم الكيمياء الحيوية ، وهذه المعلومات لم يتم اكتشافها إلا بعد عشرة قرون تقريبًا من نزول القرآن الكريم .

٥ - **أطوار النسل الإنساني** : ففي القرون الماضية كانت ضروب كثيرة من الخرافات تحيط بالنسل البشري ، ثم جاء القرآن الكريم يقص مراحله المتسلسلة في آيات متعددة بدقة وتحديد عجيبين من نطفة إلى علقة إلى مضغة ، وعن أصل مخرج الماء الدافق وتكون الذكر والأنثى وعملية التخلق وشق السمع والبصر وكسوة العظام باللحم وغير ذلك بعبارات بسيطة تعبر عن حقائق علمية أُنفقت لمعرفتها مئات السنين . وللسنة النبوية دور رديف في إيضاح هذه الحقائق أيضًا .

٦ - **السقف المحفوظ** : قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢] .

يلفت القرآن الكريم انتباه البشر إلى أن هناك نظامًا متكاملًا يحيط بالأرض ويحميها من التهديدات الخارجية ، وهذا الذي أشارت إليه الآية منذ أكثر من ( ١٤٠٠ ) سنة لم يدركه العلماء إلا في القرن العشرين ؛ فالغلاف الجوي المحيط بالأرض يؤدي وظائف ضرورية لاستمرار الحياة ، وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن طبقة ( الماغناتوسفير ) المتكونة من حقول الأرض المغناطيسية تشكل أحزمة تعلو الأرض بمسافة آلاف الكيلومترات ، تكون درعًا واقيًا للأرض من كل ما يهدد الكائنات الحية التي عليها . ومن الوظائف الوقائية للغلاف الجوي ما يلي :

أ - تدمير النيازك الكبيرة والصغيرة ومنعها من السقوط

على الأرض ، أو تفتيتها حتى لا تؤذي الكائنات الحية .

ب - حماية الأرض من برد الفضاء المجمد الذي يصل إلى ( ٢٧٠ ) درجة مئوية تحت الصفر .

جـ - تصفية الأشعة الآتية من الفضاء ، فيمنع الإشعاعات المميتة والضارة التي تصدر باستمرار عن الشمس وغيرها ، ويسمح بالمرور لغير الضارة ، مثل : الضوء المرئي والأشعة فوق البنفسجية ونحو ذلك مما هو أساسي للحياة .

**وصفوة القول** : في إعجاز القرآن الكريم تظهر في قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] . وما ذكرته غيض من فيض مما قرره العلماء عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

* * *

# الإسلام والبشرية الحائرة




## بشارات الأنبياء به

ويحتوي على الفرعين التاليين :

- **توطئة وتمهيد .**
- **بشارات العهد القديم .**
- **بشارات العهد الجديد .**

الفصل الثالث

بشارات الأنبياء به

## توطئة وتمهيد

مما خص اللّه سبحانه نبيه محمدًا ﷺ به أن جعله خاتم النبيين ، وأرسله رحمة للعالمين ، وأخذ عهدًا على كل نبي أرسله أن يؤمن ويبشر أمته به ، وينعته لهم ويأخذ العهد عليهم بنصرته متى بعث . وإنما أخذ اللّه سبحانه له الميثاق من النبيين مع علمه تعالى أنهم لا يدركونه ، لإظهار فضله ورفع شأنه ، ولتتوالى البشارات والعهود من نبي إلى نبي ومن جيل إلى جيل بالنبي المنتظر ، فما انفك كتاب سماوي عن تضمن ذكر أو بشارة به ، وأهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا على علم تام به ، فقد ورد في أسفارهم كثير من صفاته وصفات أمته ، لكن الغالب أن يكون ذلك بإشارات مدرجة أو رموز مُعَرِّضة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم ، لأنها تحتاج إلى تأمل وإمعان نظر ، لاسيما وأن علماء أهل الكتاب كانوا ومازالوا يشوشون وجه الدلالة ، ويلقون الشبهات ، وازداد الأمر غموضًا بنقل هذه الأسفار من لغة إلى لغة ، وبخاصة مع ترجمة الأسماء وذكر معانيها بدلًا من الإبقاء على لفظها ، ومع ذلك فإن من اطلع على أسفار الكتاب المقدس والتوراة السامرية وتأمل النصوص ، وجد

فيها دلائل واضحة لا يمكن حملها إلا على البشارة به ، ومن مجموع ذلك تظهر له الحقيقة الناصعة بالنبي المنتظر .

## حتمية تبشير الأنبياء به :

من المعلوم أن ظهور محمد ﷺ وانتشار دينه في مشارق الأرض ومغاربها من أعاظم الحوادث في الأرض ، بل هو أعظمها أثرًا ، فقد انتصر على المشركين وظهر على معظم جزيرة العرب ، وانتصر على اليهود وجاهد النصارى حال حياته ، ثم ظهرت أمته على اليهود والنصارى من بعده في أجل الأرض عندهم ، وهي بلاد الشام ، وبخاصة القدس ، كما ظهرت على بلاد الفرس وشمال إفريقية والصين والهند وبعض أوربة ، وانتشر دينه وامتد ولا يزال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وخرج من أمته الملايين من العلماء الربانيين والحكماء المتقنين والملوك العظام والقواد المحنكين .

ومن المعلوم أيضًا أن أنبياء بني إسرائيل أخبروا قومهم بما سيقع من الأحداث الكبيرة في المستقبل ، وبمن يُسلط عليهم من الملوك ويقتلونهم ويخربون بلادهم ويسبون نساءهم وأولادهم ويُهَجِّرونهم كبختنصر وسنحاريب والإسكندر وحلفائه وغير ذلك ، وأعلموهم بظهور الدجال وحذروهم من فتنته وذكروا لهم بعض أموره وأوصافه .

ورسول الله محمد ﷺ أظهر دينه وتحدى بمعجزاته

وطلب تصديقه ، وحدث ما حدث حال حياته وبعد وفاته ، فمن البدهي أن تخبر الأنبياء به على حسب العادة ، وتذكر كتبهم اسمه ووصفه ، سواء كان صادقًا أو كاذبًا ، لأنه إن كان صادقًا فالبشارة به من أولى ما تبشر به الأنبياء أممها ليؤمنوا به ، وإن كان مدعيًا فإن فتنته أعظم من فتنة الدجال بكثير ، فالتحذير منه أولى من التحذير من غيره . ولا يكفي فيه التحذير العام من الأنبياء الكذبة ، بل لابد من ذكر اسمه وذكر بعض الأحداث التي تجري حال حياته وبعد وفاته على حسب العادة .

ولم يُنقل قط عن كتاب أن فيه ذكره بالذم والتحذير ، وعامة علماء أهل الكتاب قديمًا وحديثًا إما أن يقولوا : ليس له ذكر في كتبنا بصورة خاصة ، أو يقولوا : إن له ذكرًا بالمديح والثناء . ولو كان له ذكر خاص بذمه والتحذير منه ، لكان هذا من أعظم ما يحتجون به عليه وعلى أمته ، ولاحتج به من لم يدخل في الإسلام منهم على من دخل فيه ، ولذكروه لمشركي العرب عندما سألوهم عنه ، فقد كان عندهم من البغض والعداوة والحرص على إبطال دعوته ما دفعهم إلى الافتراء عليه ونعته بصفات لا وجود لها فيه البتة ، فلا يجوز عقلًا أن يخبر الأنبياء ويحذروا من الحوادث الصغرى ، ويهملوا الحادثة العظمى ، ويبعد كل البعد ألا يبشر أحدهم بنبوته .

## ميثاق النبيين :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالا : ما بعث الله نبيًّا ، آدم فمن بعده إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنُنَّ به ولينصرَنه ، وأمره أن يأخذ العهد على قومه ، لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصُرنه وليتبعُنه . ثم تلا عليٌّ رضي الله عنه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ .. ﴾ (١) .

قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

---

(١) أخرجه البخاري .

## من بشارات العهد القديم

### بشارة موسى بنبي يماثله :

١ - جاء في سفر التثنية ( ١٨/١٥ ) : يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون .

٢ - ( ١٨/١٧ - ٢٢ ) : قال لي الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه ، وأما النبي الذي يطغى ، فيتكلم باسمي كلامًا لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى ، فليقتل ذلك النبي ، وإن قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه .

بشر موسى عليه السلام أسباط إسرائيل الاثني عشر بنبي يقيمه الرب لهم من إخوتهم وليس منهم ، وهو ليس بعيدًا عنهم بل من وسطهم . وهذا يعني أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام

أيضًا ، وقد بين لهم أن اللّٰه سيجعل كلامه في فم هذا النبي ، فيكلمهم بكل ما يوحيه إليه ، ويجب على بني إسرائيل أن يطيعوه ، ثم حذرهم من أن الذي لا يطيع كلامه الذي هو من عند اللّٰه ، فإن اللّٰه سيكون هو المنتقم منه ، وهذا يعني أنه مؤيد بنصر اللّٰه .

ومن علامات صدق هذا النبي أن ما يخبر به من أمور غيبية وحوادث آتية يتحقق ويقع كما أخبر ، وبذلك يتميز عن المتنبئين الكذبة .

كما نبه إلى أن نهاية المتنبئ الكاذب هي القتل ، وهذا يعني أن المبشر به لن يستطيع أحد قتله .

فمن هو النبي المنتظر الذي يكلمه اللّٰه ويضع كلامه في فمه ، ويشابه موسى في أوضاعه وأحواله وهو من ذرية إبراهيم من إخوة بني إسرائيل وليس منهم ، ويؤيده اللّٰه بنصره ، ولن يتمكن أحد من قتله ، بل يموت موتًا ؟

جاء في سفر التثنية ( ٣٤/١٠ - ١٢ ) : ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه ، في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه ، وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل .

وهذا يعني نفي قيام نبي مثل موسى عليه السلام حتى كتابة سفر التثنية ، غير أن التوراة السامرية منعت أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل البتة ، فقد جاء فيها ( ١٠/٣٤ ) : ولا يقوم أيضًا نبي في بني إسرائيل كموسى الذي ناجاه اللّه شفاهًا في جميع الآيات والمعجزات التي أرسله اللّه للفعل .

وبما أنه لا مثيل لموسى عليه السلام في بني إسرائيل ، تعين أن يكون من ذرية إسماعيل بكر إبراهيم عليهما السلام فقد باركه اللّه ووعد بتكثير نسله كما في سفر التكوين ( ٢٠/١٧ ) ، ولم يخرج من ذرية إسماعيل عليه السلام ولا من ذرية غيره من أولاد إبراهيم عليه السلام نبي حتى الآن إلّا محمد ﷺ والأوصاف تنطبق عليه تمامًا وبوضوح ، وهو يماثل موسى عليه السلام في أمور كثيرة : فكلاهما عبد اللّه ورسول من عنده ، وكلاهما من أب وأم ، وقد تزوجا ورزقا بأولاد ، وكلاهما كلمه اللّه ، وكلاهما صاحب شريعة كاملة مشتملة على نظام ديني ودنيوي ، وكلاهما أيده اللّه بمعجزات قوية تحدى بها البشر وفعلها أمام الناس ، وكلاهما جاهد أعداءه بالسلاح وانتصر ، وكلاهما مات على الفراش ودفن في قبر ، فالمماثلة حاصلة من وجوه كثيرة .

**المبعوث من جبل فاران :**

جاء في سفر التثنية ( ١/٣٣ - ٢ ) : وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجلُ اللّه بني إسرائيل قبل موته فقال : جاء

الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران .

وفي التوراة السامرية : ولهم لمع من فاران .

ذَكَّر موسى عليه السلام بني إسرائيل بأخذ الميثاق عليهم في سيناء واستلامه الألواح ونزول التوراة ، وبشرهم بنبيين من بعده ، فهذا النص متضمن ثلاث نبوات متتالية ، فمجيء الله من سيناء بظهور دينه وتوحيده بما أوحى به إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام هناك في جبل الطور ، وإشراقه من سعير : ظهور فضله بإرسال عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل فهو بشارة به ، لأن سَعير جبل في فلسطين بجانب مدينة بيت لحم ، وفي تلك المنطقة ولد المسيح عليه السلام وترعرع . وتلألوئه أو لمعانه من جبل فاران : ظهور أمره إلى العالمين بإنزال القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ ، فهو بشارة به ، لأن فاران أحد الجبال المحيطة بمكة التي ولد فيه محمد ﷺ وفيه غار حراء ، حيث كان قبل البعثة يجلس فيه ويتعبد ويتأمل ، ونزل جبريل عليه فيه لأول مرة بأول آياتٍ نزلت من القرآن الكريم : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ .

جاء في سفر التكوين ( ٢٠/٢١ - ٢١ ) عن رحيل إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه : وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر .

وجاء في سفر حَبَقُّوق ( ٣/٣ - ٤ ) : الله جاء من

تِيمان ، والقدوس من جبل فاران ، سِلاه جلاله غطى السماوات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان له لمعان كالنور ، له من يده شُعاع .

ولم يخرج أحد من جبال فاران وامتلأت الأرض من تسبيحه وتسبيح أمته سوى محمد ﷺ .

## استبدال العرب ببني إسرائيل :

جاء في سفر التثنية ( ١٦/٣٢ - ٢١ ) : أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس ، ذبحوا لأوثان ليستِ اللَّه ، لآلهةٍ لم يعرفوها ، أحداثٍ قد جاءت من قريب ، لم يرهبها آباؤكم . الصخر الذي ولدك تركته ، ونسيتَ اللَّه الذي أبدأك . فرأى الرب ورَذَل من الغيظ بنيه وبناته وقال : أحجب وجهي عنهم ، وأنظر ماذا تكون آخرتُهم ، إنهم جيل منقلب ، وأولاد لا أمانة فيهم . هم أغاروني بما ليس إلهًا ، أغاظوني بأباطيلهم ، فأنا أغيرهم بما ليس شعبًا ، بأمة غبية أغيظهم .

أنعم اللَّه على بني إسرائيل ، وفضلهم على عالمي زمانهم ، غير أن النعمة أفسدتهم ، فبطروا ، وبدلًا من أن يشكروا اللَّه عبدوا الأصنام وقربوا لها القرابين ، فغضب عليهم ، واصطفى شعبًا آخر جاهلًا ومحتقرًا في أعينهم ليغيظهم ، فمن الشعب الآخر ؟

لاريب أنهم العرب أولاد إسماعيل عليه السلام فإنهم كانوا أميين في غاية الجهل ، ولم يكن عندهم اتجاه إلى علم ،

وكانوا محتقرين في أعين اليهود ، ويشهد لذلك ما يلي :

جاء في سفر التثنية ( ٦٥/١ - ٣ ) : أصغيت للذين لم يسألوا ، وُجدت من الذين لم يطلبوني ، قلت هأنذا لأمة لم تُسَمَّ باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره ، شعب يغيظني بوجهي دائمًا .

فالمراد بالذين لم يسألوني ولم يطلبوني العرب ، لأنهم ما كانوا سائلين حقيقة عن دين الله ولا طالبين له ، بل كانوا أمة أمية .

## خاتم النبيين :

جاء في المزمور ( ٢٢/١١٨ - ٢٣ ) : الحجر الذي أخره البناؤون قد صار رأس الزاوية ، من قِبل الرب الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا .

ويوضح هذا ما ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين** » (١) .

وسبب العجب أن اليهود كانوا يحتقرون العرب وبني إسماعيل ، فكيف يصير أحدهم رأس الزاوية .

---

(١) متفق عليه .

## من بشارات العهد الجديد

**المؤيد بنصر الله :**

جاء في إنجيل متى ( ٤٢/٢١ - ٤٤ ) وإنجيل لوقا ( ١٧/٣٠ - ١٨ ) أن المسيح عليه السلام قال لرؤساء الكهنة ، أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ، من قِبل الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويُعطى لأمة تعمل أثماره ، من سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

الملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة ، وهو الملك الذي فيه عز وقوة ، ففي النص إشارة واضحة إلى أن هذا النبي مأمور بالجهاد ومؤيد بنصر الله ، لا يقف أحد في ممانعته ، ومن عارضه سحقه ، وقد نزع الله ملكوته من بني إسرائيل ، وأعطاه لأمة محمد ﷺ تحقيقًا لبركة إسماعيل فقامت بالدعوة خير قيام ، وجاهدت جهادًا تكتنفه الرحمة مع النبي ﷺ وبعده .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥- ١٠٧] .

فالأمر منوط بطاعة اللّه والإخلاص في عبادته والرحمة بخلقه .

## المسيح يبشر بأحمد :

جاء في إنجيل يوحنا ( ١٤/١٥ - ١٦ ) : إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب فيعطيم ( بيريكلوتوس ) معزيًا آخر ، ليمكث معكم إلى الأبد .

( ١٤/٢٥ - ٢٦ ) : بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، وأما ( البيريكليتوس ) المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم .

( ١٤/٣٠ ) : لا أتكلم أيضًا معكم كثيرًا ، لأن رئيس هذا العالم يأتي ، وليس له فيَّ شيء .

( ١٦/٧ - ٨ ) : لكني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم ( البيريكلتوسٍ ) المعزي ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء يُبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة .

( ١٢/١٦ - ١٣ ) : إن لي أمورًا كثيرة لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية .

بعد أن علم المسيح ﷺ انتهاء مهمته في ذلك الوقت ودع تلاميذه ، وبين لهم ما هم عُرضة له ، وبشرهم برسول يأتي من بعده ، اسمه ( بيريكليتوس - PERICLITOS) فما معنى هذه الكلمة ؟ وما أوصاف هذا الرسول ؟ ومن هو ؟

كان المسيح ﷺ يتكلم الآرامية المشتقة من العبرية ، وهي اللغة العامية التي كان يتكلم بها تلاميذه أيضًا ، وكان يعبر عن المبشر به تارة بلفظ النبي ، وأخرى بلفظ ( مِسِيّا - MESSIAH ) أي المسيح ، وأحيانًا باسمه ( بيريكليتوس ) ، وهي كلمة يونانية ، واللفظ العبري لها مفقود ، ولو كان ثمة إنجيل كتب في أثناء حياة المسيح ﷺ ومن فمه ، ثم نُقل إلينا بالسند الصحيح المتصل لكان من أغلى الكنوز ، ولحفظت تعاليمه بصحتها ونقائها ، فما من شك أن كاتب الإنجيل الرابع ترجم اسم المبشر به إلى اللغة اليونانية التي كتب بها إنجيله على حسب عادة أهل الكتاب في ترجمة الأسماء ، ثم إن المترجمين إلى العربية عربوا اللفظ اليوناني إلى ( فارقليط ) ، وكان هذا اللفظ ثابتًا في الأناجيل المترجمة إلى العربية منذ قرنين تقريبًا ، ومنها المطبوع في لندن

عام ١٨٢١م ، ومنها أيضًا المطبوع عام ١٨٣١م وعام ١٨٤٤م ، وهذا يدل ويؤكد أنه اسم لشخص ، وليس صفة له ، ثم خلت الترجمات العربية فيما بعد من هذا اللفظ ، ووضع بدلًا منه كلمة ( المعزي ) فلو كان بمعنى المعزي من الأصل ، وليس اسم علم ، ما الذي منع القدامى من ترجمته إلى العربية كما ترجموا سائر الكلمات ؟ لا ريب أنهم أثبتوا هذه الكلمة بلفظها لأنها اسم علم لشخص معين ، وليست صفة له ، فما معنى هذا اللفظ ؟

أجرى كثير من العلماء النصارى والمسلمين بحوثًا عن أصل هذه الكلمة ومدلولها كما سيأتي ، ثم خرجوا بالنتائج التالية :

أ - إن كلمة بيريكليتوس PERICLITOS أو بيريكليت PERIKLYTE كلمة يونانية تعني الأكثر حمدًا وشهرة أو الأمجد والمستحق للمديح كما في قاموس الإسكندر الإغريقي الفرنسي ، وهذا ما يعنيه أحمد ، وهو اسم تفضيل باللغة العربية ، وهو يتناسب مع الكلمة الآرامية مَحَامْدا أو حميدًا .

ب - إن قوله تعالى في القرآن الكريم حكاية عن المسيح عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] من أقوى البراهين على أن محمدًا ﷺ هو المبشر به ، إذ لم يكن بوسعه وهو الأمي أن يعرف أن كلمة بيريكليتوس تعني الأكثر حمدًا إلا من خلال الوحي .

جـ - إن سياق الكلام والأوصاف المذكورة في النص تدل بوضوح على أن المبشر به بشر مرسل يؤدي أعمالًا بعثه الله من أجلها إلى الناس ، ويظهر ذلك من النواحي التالية [١] .

١ - يفهم من الجمل ( ١٤/١٥ - و٢٥ - ٢٦ ) أن المبعوث سوف يعزي من بعث إليهم ، ويعلمهم كل شيء يحتاجون حال حياتهم وبعد مماتهم ، ويذكرهم بأقوال المسيح التي نسوها أو خرجوا عنها ، وسوف يمكث ما جاء به وعلمهم إياه مع الناس إلى الأبد يتوارثونه إلى آخر الدهر .

---

( ١ ) يرى رجال الدين النصارى أن الكلمة التي في إنجيل يوحنا هي ( باركليتوس - PARACLYTOS ) .
ومعناها من يُدعى للمساعدة ، مثل معزٍ محامٍ ، ويرادفها باليونانية ( باراكلون - PARAKALON ) والكلمة العبرية المرادفة لكلمة المعزي ( مناحيم ) ، ويدعون أنه الروح القدس الأقنوم - أي الأصل - الثالث من الثالوث الأقدس الذي حل ويحل في صدور القساوسة ، ولاريب أن النص كان عرضة للتحريف والتشويه في غياب النقل الصحيح بالأسانيد المتصلة ، وما أثبتته الكنيسة في هذا الإنجيل بعيد من حيث الواقع ومن حيث اللفظ والدلائل ، لأن ( باركليتوس ) صيغة وثنية لم تكن معروفة في دنيا الأدب الإغريقي كما قال المحققون ، ومنهم عبد الأحد داود ، ثم إن التفاوت بين اللفظين يسير جدًا ، والحروف اليونانية كانت متشابهة ، فتبديل كلمة بيريكلوتس بباركليتوس غير مستبعد ، ويأتي مزيد لذلك . وانظر محمد في الكتاب المقدس لعبد الأحد ( ص ٢٠٧ - ٢٢٩ ) ، إظهار الحق (٢/ ٢٧٩ - ٢٨٣ ) دراسة لموريس ( ص ١٢٧ - ١٢٩ ) ، وتفاصيل ذلك في كتابي ميثاق النبيين ( ص ٤٢٤ - ٤٥٨ ) .

وهذا يدل على أنه بشر ، لأن تلك الأمور من خواص النبوة .

ومحمد ﷺ بشر رسول ، وعبد نبي ، بعثه اللّٰه تعالى إلى العالم كله بشريعة كاملة شاملة ، تقرر الأصول والأسس التي جاء بها الأنبياء السابقون ، وهي ثابتة مع الناس إلى الأبد بثبات القرآن الكريم الذي حفظه اللّٰه ونقل بالتواتر ، وبثبات سنته المطهرة المنقولة بالأسانيد المتصلة الصحيحة ، وهو خاتم النبيين ، فلا كتاب بعد كتابه ، ولا ناسخ لشرعه .

أما قوله ( الروح القدس ) وقوله في ( ١٣/١٦ ) ( روح الحق ) فقد رجح بعض الباحثين – ومنهم موريس بوكاي – أن تكون مدسوسة . وعلى فرض صحتها ، فإنها لا تمنع أن يكون المبشر به إنسانًا ، لأن المراد النبوة والهداية ، فهو غاية التعظيم والمدح ، ولفظ الروح عند أهل الكتاب يطلق أيضًا على النبي الذي هو من البشر الذين أُرسل إليهم كما في رسالة يوحنا ( ص/١ – ٦ ) .

٢ – جاء في الجملة ( ٣٠/١٤ ) أن رئيس هذا العالم يأتي . فمن سيد هذا العالم وعظيمه الذي يأتي من بعد المسيح عليه السلام ؟ لابد أن يكون بشرًا من هذا العالم مثل سائر الناس ، ولم يأت بعد رفع المسيح عليه السلام من ساد العالم برسالته وشريعته سوى محمد ﷺ .

٣ – جاء في الجملة ( ٧/١٦ ) أن المسيح عليه السلام علق مجيء المبشر به بذهابه وانتهاء مهمته في ذلك الوقت .

وهذا يعني أنهما لا يكونان في وقت واحد معًا كما كان الحال في بني إسرائيل قبله وفي أثناء وجوده ، فمجيء المبشر به إنما يكون بعد ذهابه ، ومحمد ﷺ جاء بعد رفع المسيح عليه السلام بمشيئة الله وحده ، فهو الذي قرر تلك الأمور .

٤ - جاء في الجملة ( ١٦/٨ ) أنه يبكت العالم ويوبخه على خطية وعلى بر وعلى دينونة ، فمن جاء بعد المسيح عليه السلام ووبخ العالم على خطاياهم ، وحثهم على البر ، وأنذرهم بيوم الحساب والجزاء سوى محمد ﷺ فقد كان العالم عند بعثته مملوءًا بالكفر ، فوبخ الوثنيين أجمعين ، ووبخ اليهود الذين كفروا بالمسيح عليه السلام وافتروا على أمه وولادته ، وأرادوا محاكمته وصلبه ، ووبخ أيضًا النصارى الذين خرجوا عن تعاليمه وضلوا عن حقيقته ، فمحمد ﷺ روح الحق الذي جَلى للناس كل الحقيقة عن وحدانية الله المطلقة ، وعن طبيعة المسيح عليه السلام الحقيقية والرسالة التي جاء من أجلها بتصميم وحماسة وشجاعة ، فأرسل الرسائل والسفراء إلى الملوك والأمراء .

٥ - أخبر المسيح عليه السلام أتباعه في الجملتين ( ١٦/١٢ - ١٣ ) أن لديه أمورًا وأحكامًا كثيرة ، غير أنه امتنع عن ذكرها لتلاميذه إشفاقًا عليهم ، لأنهم لا يستطيعون تلقيها وحملها ، لكن متى جاء المبشر به فإنه سيرشد العالم إلى جميع الحق ، ويعلمهم كل ما يتعلق بوحدانية الله وأسمائه وصفاته ودينه

الذي ارتضاه وختم به الأديان . وهذا يعني أنه سيكون صاحب شريعة كاملة شاملة ، فيه جميع ما يحتاجه من أمور الدنيا والآخرة .

٦ - جاء في الجملة ( ١٦/١٣ ) أن المبشر به لا يتكلم من عند نفسه ، بل يتكلم بكل ما يسمع . وهذا يدل على أنه بشر كسائر الأنبياء يوحى إليه بكتاب وشرع ، وليس علمًا تعلمه من الناس أو عرفه باستنباطه وذكائه ومحمد ﷺ أوحى الله إليه بالقرآن وجعله في قلبه ، فخرج للناس من فمه الطهور .

٧ - جاء في الجملة نفسها أن المبشر به سيعرفهم بأمور آتية . ومحمد ﷺ أخبر بكل ما سيأتي من حوادث وفتن ، وذكر أشراط الساعة الصغرى والكبرى ، وبين ما يكون بعد الموت ويوم القيامة حيث الحساب والجزاء ، والجنة أو النار ، فكان بحق روح الحق .

٨ - إن الأوصاف والأعمال المذكورة للمبشر به في النص مثل الشهادة للفارقليط الأول ، وتذكير الناس بكل ما قاله وتعليمهم كل شيء وتوبيخ العالم على الخطايا وغير ذلك إنما تناسب بشرًا يراه الناس بعيونهم ويسمعونه بآذانهم ، فيتصل بهم ويتحدث إليهم .

إن فعل يتكلم أو يتحدث في جميع اللغات معناه يصدر الأصوات ، وقد تكرر هذا الفعل كثيرًا في النص اليوناني إشارة إلى تصريح المسيح عليه السلام وتبشيره ، كما أن فعل

يسمع معناه يستقبل الأصوات ، فهو اتصال ذو طابع مادي بحت ، لأن إصدار الصوت وسماعه لا يمكن أن يخصا إلا كائنًا بشريًا يتمتع بجهاز للكلام وآخر للسمع ليتصل بالناس ، فيتحدث إليهم ويسمع منهم .

٩ - ادعى كثير من النصارى قبل ظهور محمد ﷺ أنهم مصاديق كلمة ( فارقليط ) الذي بشر به المسيح ، واتخذوا هذا الاسم ، وصار لهم أتباع كثيرون ، مثل منتس الذي ظهر في القرن الثاني الميلادي عام ١٧٧م تقريبًا في آسيا الصغرى ، وقبل كثير من الناس قوله واتبعوه (١) .

فهذا يعني أن انتظار ( الفارقليط ) كان معروفًا في القرون الميلادية الأولى ، وأن المسيحيين كانوا يعتقدون أن الذي وعدوا به إنما هو بشر رسول .

## نصارى عرفوا معنى الفارقليط واعتنقوا الإسلام :

اعتنق كثير من مفكري النصارى ورجال دينهم دين الإسلام رغبة في اتباع الحق بعد دراسة عميقة انقشعت فيها الشبهات ، وتجلت الحقائق الثابتات ، وكان إيمانهم عن رغبة وعلم ، ومنهم من يلي :

**١ - القَس الأسباني إنسلم تورميدا :**

أصله من مدينة ميوركة التي تقع شرق أسبانيا ، تلقى

(١) انظر المصادر والمراجع المذكورة في الحاشية السابقة .

دراسته في الكتاب المقدس منذ نعومة أظفاره ، ثم انقطع لطلب العلم فترة طويلة ، صحب فيها أساطين العلم بالنصرانية ، ومنهم نقلا دمارتيل الذي كانت له منزلة رفيعة في العلم والشأن عند النصارى ، فقد قرأ عليه علم أصول دين النصرانية وأحكامه ، ولم يزل يتقرب إليه بخدمته حتى صار من أخص خواصه ، ومكث على ذلك عشر سنين ، وذات يوم أصاب القس الكبير مرض فتخلف عن مجلسه ، وتذاكر الطلبة في مسائل من العلم إلى أن أفضى بهم الحديث إلى قول المسيح عليه السلام « يأتي من بعدي البارقليط » ، فبحثوا في تعيينه ، وقال كل منهم بحسب علمه وفهمه .

قال إنسلم : فأتيت مسكن صاحب الدرس فأخبرته باختلاف القوم فقال : إن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا الراسخون في العلم . فبادرت إلى قدميه أقبلهما وقلت له : يا سيدي قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد ، ولي في خدمتك عشر سنين، فلعلَ من جميل إحسانكم أن تكمل علمي بمعرفة هذا الاسم الشريف . فبكى وقال : يا ولدي ، والله إنك لتعز علي كثيرًا من أجل خدمتك لي ، وإن في معرفة هذا الاسم فائدة عظيمة ، لكن أخاف أن يظهر ذلك عليك فتقتلك النصارى . فقلت له : والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به ، لا أتكلم بشيء مما تسره لي إلا عن أمرك . فقال : اعلم يا ولدي أن

البارقليط اسم من أسماء نبي المسلمين محمد ﷺ وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال ، فقد أخبر أنه سينزل عليه هذا الكتاب ، وأن دينه دين الحق ، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل . قلت : يا سيدي ، وما تقول في دين النصارى ؟ قال : لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكان على دين الله ، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى . فقلت : وكيف الخلاص ؟ فقال : بالدخول في الإسلام .. فقلت : فما يمنعك عنه . قال : يا ولدي إن الله لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك إلا بعد أن كبرت سني ووهن جسمي ، ولا عذر لنا فيه ، بل حجة الله علينا قائمة .. وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من الجاه والعز والشرف وكثرة عرض الدنيا ، ولو ظهر عليَّ شيء من الميل للإسلام لقتلتني العامة .. وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به ، يعلم الله ذلك عني . فقلت : يا سيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم؟ فقال : إن كنت عاقلًا طالبًا للنجاة في الدنيا والآخرة فبادر ، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن فاكتمه ، وإن ظهر عليك شيء تقتلك العامة لحينك ، ولا أقدر على نفعك ، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني ، فإني أجحده ، وقولي مصدق عليك ، وقولك غير مصدق عليَّ .

ثم قدم تونس في زمن أبي العباس أحمد بن المستنصر الحفصي ( ٧٧٢ - ٧٩٦هـ ) وأعلن إسلامه وبعد إتقانه اللغة العربية صار يترجم من الإيطالية والفرنسية ، فسمي عبد الله الترجمان ، ألف كتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب باللغة العربية عام ٨٢٣هـ ، ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية ونشر في مجلة تاريخ الأديان بباريس عام ١٨٨٥م [(١)] .

**٢ - المستشرق الإيطالي كارلونيلنو يفسر :**

ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء[(٢)] أنه كان طالبًا في دار العلوم سنة ١٨٩٤م وكان يجلس بجانبه في درس اللغة العربية الدكتور كارلونيلنو المستشرق الإيطالي ، وكان يحضر اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية ، فانعقدت بينهما أواصر الصحبة .

**قال عبد الوهاب** : وفي ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ١٣١١هـ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا ، ثم قلت له : ما معنى ( بيريكلوتس ) فقال : القسس يقولون معناها المعزي . قلت : إني أسأل الدكتور كارلونلينو الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسًا ، فقال :

(١) انظر تحفة الأريب ( ص ٣٣ - ٤٠ ) طبعة دار المعارف بالقاهرة عام ( ١٩٨٤م ) .

(٢) ( ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ) .

معناه الذي له حمد كثير . فقلت : هل يوافق ذلك أفعل التفضيل من فعل حمد ؟ فقال : نعم : فقلت أن رسول الله ﷺ من أسمائه أحمد . فقال : يا أخي ، أنت تحفظ كثيرًا . ثم افترقناه وقد ازددت بذلك تثبتًا في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [ الصف : ٦] .

### ٣ - البروفسور ديفيد بنجامين كلداني :

قسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين والأستاذ في علم اللاهوت ، ولد عام ١٨٦٧م في أورميا من بلاد فارس، كان يحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت ، وفي عام ١٨٩٢ أرسله الكاردينال فوهان إلى روما حيث تلقى تدريبًا في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية بروبوغا ندافيد ، وفي عام ١٨٩٥ ثم ترسيمه كاهنًا ، كان محبًا للعلم كثير التأمل ، وكان مما شغل تفكيره كلمة ( بيريكليتوس ) فأثبت في تحقيقه أن ترجمة هذه الكلمة إلى العربية توافق اسم أحمد في معناه ومغزاه ، ولا يمكن أن تكون معزيًا ولا محاميًا ولا وسيطًا عن الله ، اعتنق الإسلام عام ١٩٠٤م ، وألف كتابه ( محمد في الكتاب المقدس ) باللغة الإنكليزية ، ثم ترجم إلى العربية ، وهو الذي اقتبسنا منه ، وكتابًا آخر اسمه ( الإنجيل والصليب )

وضح فيه أن الكلمات اليونانية التي في التوراة والإنجيل بمعنى أحمد وإسلام .

### ٤ – المفكر الفرنسي الدكتور موريس بوكاي :

قام الدكتور موريس بدراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، واستطاع أن يثبت بالأدلة العلمية أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي خلا من التحريف والتبديل ويقف صامدًا أمام الحقائق العلمية التي تؤيده ، ألف كتابه ( التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث ) باللغة الفرنسية ، ثم ترجم إلى العربية ، وقد أجرى فيه تحقيقًا في الكلمة الواردة في إنجيل يوحنا التي تفسرها الكنيسة بالمعزي أو المحامي ، وتدعي أنه الروح القدس ، أي الأقنوم – أو الأصل – الثالث من الثالوث الأقدس فقال : من الغريب أن ننسب إلى الروح القدس الفقرة التي تقول : « لن يتكلم بإرادته ، وإنما سيقول ما يسمع ويعرفكم بكل ما سيأتي » إذ من غير المعقول أن ننسب إلى الروح القدس سلطان التحدث وأن يقول ما يسمع ، وإن أي نقد للنصوص يبدأ بالبحث عن الاختلافات النصية .

ثم يقول : فيبدو أن الاتصال بالناس هو المقصود هنا ، ولا يمكن مطلقًا أن يكمن في إلهام من عمل الروح القدس ،

بل إنما هو اتصال ذو طابع مادي بحت بسبب مفهوم إصدار الصوت .. فهذا يؤدي بنا إلى أن نرى في ( الباراكليت ) عند يوحنا كائنًا بشريًّا مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام ، فالمسيح يصرح بأن اللّٰه سيرسل فيما بعد كائنًا بشريًّا على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي ذكره يوحنا ، وهو دور نبي يسمع وحي اللّٰه ، ثم يكرر على مسامع البشر رسالته .

ويبدي الدكتور موريس شكوكه في كلمتي الروح القدس فيقول : إن وجود كلمتي الروح القدس في النص الذي بين أيدينا اليوم ربما يكون نابعًا من إضافة لاحقة إرادية تمامًا ، تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض بإعلانها مجيء نبي بعد المسيح مع تعاليم الكنائس الوليدة التي أرادت أن يكون المسيح خاتم الأنبياء [١] .

**القبلة الجديدة :**

جاء في إنجيل يوحنا ( ٤/١٩ - ٢١ ) : قالت المرأة - أي السامرية - له : يا سيد ، أرى أنك نبي ، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل ، وأنتم تقولون : في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه . فقال لها يسوع : يا امرأة ، صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب .

---

(١) انظر كتابه ( ص ١٢٧ - ١٢٩ ) .

كان العداء مستفحلًا بين العبرانيين والساميين في زمن المسيح عليه السلام حتى إن العبرانيين لا يتعاملون مع السامريين ، ولما كان المسيح عليه السلام نبيًّا لم يبال بهذا العداء ، فذهب إلى منطقة السامريين ليبشر بدعوته ، فسألته المرأة بعد ما علمت من كلامه أنه نبي : أيُّنا على الحق نحن الذين نقدس جبل جرزيم أم أنتم الذين تقدسون جبل صِهْيَوَن وتصلون ناحيته ؟ فأجابها المسيح عليه السلام بأن القبلة ستنزع من هذا المكان كله ، وتتحول إلى مكان آخر .

وهذا ما حدث ، فقد كان رسول الله ﷺ أُمر باستقبال الصخرة في بيت المقدس في أول الأمر ، فكان يصلي بمكة بين الركنين ، فتكون الكعبة بين يديه وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فاستقبل بيت المقدس ، واستمر على ذلك بضعة عشر شهرًا ، وكان يحب قبلة إبراهيم عليه السلام فجعل يقلب وجهه في السماء داعيًا ، فأُجيب إلى ذلك ونزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

## منتظر الأمم :

جاء في إنجيل برنابا ( ١/٩٦ - ١٢ ) [1] : ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عالٍ : قف يا يسوع ، لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكينًا لأمتنا . أجاب يسوع : أنا يسوع بن مريم بشر مائت ، ويخاف الله ، وأطلب ألَّا يُعطى الإكرام والمجد إلا لله . أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مَسِيًّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله ، وسيأتي للعالم برحمة من الله ، لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق ، هل أنت مسيا الذي ننتظره ؟ أجاب يسوع : حقًّا إن الله وعد هكذا ، ولكني لست إياه ، لأنه سيأتي بعدي . أجاب الكاهن : إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله ، لذلك أرجوك أن تفيدنا حبًّا في الله بأية كيفية سيأتي مسيا ؟ أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي ، إني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض ، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلًا : بنسلك أبارك قبائل الأرض ، ولكن عندما يأخذني الله من العالم ، سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة ، بأن يحمل عادم

---

( ١ ) برنابا أحد تلاميذ المسيح عليه السلام والكنائس لا تعترف بإنجيله ، فقد أصدر البابا جلاسيوس الأول [ ٤٩٢م - ٤٩٦ ] أمرًا يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها ، ومنها إنجيل برنابا . فهو موجود قبل بعثة محمد ﷺ ولم يعرفه المسلمون إلا بعد اكتشاف الأوربيين إياه .

التقوى على الاعتقاد بأني الله أو ابن الله ، فيتنحس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنًا ، حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي سيأتي من الجنوب بقوة ، وسيبيد الأصنام وعبدتها .

وفي ( ٤/٩٧ - ١٨ ) : فقال حينئذ يسوع : إن كلامكم لا يعزيني ، لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ، ولكن تعزيتي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيّ ، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره ، لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ، وإن ما يعزيني هو أنه لا نهاية لدينه ، لأن الله سيحفظه صحيحًا . أجاب الكاهن : أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟ فأجاب يسوع : لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله . فقال الكاهن : ماذا يسمى مسيا ؟ وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ؟ أجاب يسوع : إن اسم مسيا عجيب ، لأن الله سماه لما خلق نفسه ، ووضعها في بهاء سماوي وقال : اصبر يا محمد ، لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمًّا غفيرًا من الخلائق التي أهبها لك ، حتى إن من يباركك يكون مباركًا ومن يلعنك يكون ملعونًا ، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة ، حتى إن السماء والأرض تهنان ، ولكن إيمانك لا يهن أبدًا ، إن اسمه المبارك محمد . حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله ، أرسل

لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعًا لخلاص العالم .

قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

* * *







## البعثة وأدوار الدعوة

ويحتوي على ما يلي :

- توطئة وتمهيد .
- الدور المكي والصبر على الاضطهاد .
- الدور المدني والإذن بالقتال .
- لا إكراه في الدين .

## توطئة وتمهيد

كانت الأوهام والعداوات الدينية والتعصب الأعمى تحول دون دراسة علمية موضوعية حقيقية لعظمة النبي محمد ﷺ عند الغربيين ، فليس في ذاكرتهم إلا ما تلقوه في الكتب والصحف التي تصف هذا الرجل بأنه بدوي من عرب مكة ، لفق دينه مما سمعه من أهل الكتاب ومما شاهده عند القبائل البدوية ، ثم جمع لنصرته آلاف الأعوان من الجاهليين الذين أكرهوا شعوبًا على اعتناقه بالسيف ، بل إن المغرضين ليدخلون في رُوع الناس أن تاريخ محمد ﷺ وأصحابه وأمته سلسلة مخيفة من الدماء والبطش ، ومع ذلك فقد استطاعت سيرته أن تنفذ إلى الكثير من الباحثين الذين اعترفوا بعظمته وأشادوا في تقديره .

قال الكاتب الإنكليزي برنارد شو : لقد عمد رجال الإكليروس في العصور الوسطى إلى تصوير الإسلام في أحلك الألوان بسبب الجهل أو التعصب الذميم ، والواقع أنهم كانو يسرفون في كراهيته وكراهية دينه ، ويعدونه خصمًا للمسيح ، أما أنا فأرى أنه من الواجب أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وأعتقد لو أن رجلًا مثله تولى زعامة

العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته ، ولأحل في العالم السلام والسعادة ، وما أشد حاجة العالم إليهما اليوم .

وهذا ما يدفعنا إلى استعراض طرف من حياته وسيرته ﷺ قبل البعثة وفي أثنائها وبعدها لتنجلي حقيقة هذا الرجل وحقيقة الدين الذي جاء به .

**البعثة :**

لم تتأثر فطرة محمد ﷺ قبل البعثة بما كان عليه أهل الجاهلية ، بل كانت صافية سليمة ، فقد بَغَّض الله إليه الأوثان والأباطيل والعادات والسلوك الذميم ، فلم يسجد لصنم قط ، ولم يذق المسكر ، ولم يلعب بالميسر ، ولم يكذب ولم يخدع منذ نشأته ، وفي السنة الثامنة - أو التاسعة - والثلاثين من عمرة حبب الله إليه الخلوة ، فكان يخلو بغار في جبل قريب من مكة ، اسمه غار حراء ، وهو أحد جبال فاران المحيطة بمكة والممتدة نحو الشمال ، حيث كان يتعبد فيه أيامًا بعد أيام يتزود لها ، وكان تعبده تفكرًا فيما آل إليه أمر الناس من الظلمات المنافية للتفكير السليم والفطرة الصافية ، ويفكر أيضًا في السبيل إلى إنقاذهم ، فلما كمل له أربعون سنة أشرق عليه نور النبوة ، فجاءه الملك جبريل عليه السلام وهو في الغار بسورة العلق ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع رسول الله

ﷺ يرجف فؤاده [1] .

وبنزول الوحي عليه في هذا المكان تحققت بشارة موسى عليه السلام به كما جاء في سفر التثنية ( ٢٣/١ - ٢ ) ، فحصل التلألأ واللمعان من جبل فاران ، بعد أن تحققت بعيسى عليه السلام وحصل الإشراق من جبل سعير .

وبعد أن نبأه الله سبحانه بتلك السورة ، فأمره بالقراءة بنفسه ، أنزل عليه بعد ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ فبعثه إلى الناس وأمره بالتبليغ ، فابتدأت مراحل الدعوة في مكة المكرمة سرًّا ، ثم جهرًا وصبرًا ، وبعد ذلك في المدينة دعوة وجهادًا .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين ، فمكث ثلاث عشرة سنة ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر إلى المدينة ، فمكث عشر سنين ، ثم توفي [2] .

وفي رواية البخاري والترمذي : وهو ابن ثلاث وستين سنة .

---

( ١ ) أخرجه الشيخان .

(٢) أخرجه الشيخان وغيرهما .



# الدور المكي والصبر على الاضطهاد

## الدعوة إلى الله سرًّا :

كان من البدهي أن يعرض الإسلام في بادئ الأمر سرًّا على ألصق الناس به ، وهم أهل بيته وأصدقاؤه المقربون ، ثم على كل من يتوسم فيه خيرًا ورجاحة عقل ، فأجابه جمع منهم ، عرفوا فيما بعد بالسابقين الأولين ، وكان في مقدمتهم زوجته خديجة رضي الله عنها ثم ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان قد سمع من أهل الكتاب أن خاتم النبيين قد أظل زمانه ، فعلم أنه النبي المنتظر وصدقه ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي ، فتمنى أن يكون شابًّا ليساعده في الدعوة ، لكن سرعان ما قضى نحبه قبل أن يؤمر بالتبليغ ، فمات على الإيمان ، وآمن به ابن عمه علي رضي الله عنه وكان ابن ثماني سنين ، وكذلك خادمه زيد بن حارثة رضي الله عنه أما صديقه الحميم أبو بكر رضي الله عنه فما لبث أن صدقه حين عرض عليه الأمر ، ثم نشط هؤلاء في أمر الدعوة ، ولاسيما أبو بكر رضي الله عنه فقد كان تاجرًا ذا خلق ومعروف كبير ، فطفق يدعو من يغشاه ويثق به فاستجاب له ناس ، حتى بلغ عدد من أسلم قرابة أربعين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع بهم سرًّا ، فيقرأ عليهم

ما نزل عليه من القرآن ويعلمهم .

**الجهر بالدعوة :**

أقام النبي ﷺ يدعو إلى اللّه سرًّا ثلاث سنين ، دخل الناس خلالها في الإسلام أرسالًا من الرجال والنساء ، وفشا ذكر ذلك في مكة ، غير أن قريشًا لم تعره اهتمامًا ، ثم نزل الوحي بقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] فامتثل أمر ربه وأظهر الدعوة ، فدعا بني هاشم ، فحضروا ومنهم ناس من بني عبد المطلب ، وكان ردهم لطيفًا غير عمه أبي لهب ، فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم .

ثم أعلن الدعوة بين قومه امتثالًا أيضًا لقوله تعالى : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] أي شق جموعهم بالتوحيد ، فصعد على جبل الصفا وجعل يناديهم بأسماء قبائلهم حتى اجتمعوا ثم أخبرهم أنه نذير لهم ، فقال له عمه أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا .

ولم ينكر عليه أكثرهم حتى بادأهم بعيب آلهتهم وأصنامهم ، فانفجرت بهم مشاعر الغضب ، ثم شرع في دعوة العرب قاطبة ، ففي السنة الرابعة من البعثة انتهز فرصة موسم الحج ، فجعل يدعوهم قبيلة قبيلة يقول : « **يا أيها الناس قولوا لا إله إلا اللّه تفلحوا** » ، فمنهم من يرد ردًّا لطيفًا

، ومنهم من يرد ردًا قبيحًا ، وعمه أبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه ، فإنه صابئ كذاب . فيقولون : أسرتك وعشيرتك أعرف بك ، وكان يفعل ذلك في كل موسم ومناسبة ومعه أبو بكر ﷺ فلم يجد من يجيبه ، لكن انتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

## الاضطهاد والمصابرة :

بدأ الاضطهاد في أواسط السنة الرابعة من البعثة ، فكان المشركون يستهزئون بالنبي ﷺ إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه ويقولون : أهؤلاء جلساؤه ؟ ثم وثبت كل قبيلة إلى من أسلم منها فعذبوهم وسجنوهم بغية أن يفتنوهم عن دينهم ، وكان النبي ﷺ يطلب من بعض المسلمين ألا يعلنوا إسلامهم ، فكان عامة أصحابه يخفون إسلامهم ودعوتهم ، ومن أراد منهم الصلاة ذهب في شعاب مكة يستخفي بصلاته ، وبقي المستضعفون في أيدي المشركين يسومونهم سوء العذاب حتى مات بعضهم ، فلما اشتد البلاء بهم أشار عليهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فقال : لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكًا عادلًا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل اللّٰه لكم فرجًا مما أنتم فيه . فهاجر بعضهم .

وساومت قريش رسول اللّٰه ﷺ فأرسلت إليه عتبة بن ربيعة يعرض عليه إغداق كل ما يمكن أن يكون مطلوبًا له

ليكف عن دعوته ، فجاءه وقال له : إن كنت تريد بما جئت به مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا ، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا أموالنا حتى نبرئك منه ، حتى إذا فرغ قرأ النبي ﷺ أوائل سورة فصلت ، فلما سمعها عتبة أنصت لها ثم ذهب إلى قريش خائبًا .

وفي السنة السابعة من البعثة اجتمعت قريش ، وتعاهدوا على حصار بني هاشم وبني المطلب وقطيعتهم في البيع والشراء والنكاح وغير ذلك حتى يهلكوا أو يسلموا إليهم محمدًا ليقتلوه وكتبوا بذلك صحيفة . واستمر الحصار ثلاث سنوات ، فتضوروا جوعًا وعطشًا ، ولحقتهم مشقة عظيمة حتى أكلوا ورق الشجر .

ولما اشتد بلاء قريش على رسول اللّه ﷺ خرج في السنة العاشرة للبعثة مع زيد بن حارثة إلى قبيلة ثقيف في الطائف مشيًا على الأقدام رجاء أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ، وأقام بها عشرة أيام يدعوهم ، فاستهزؤوا به وقالوا : اخرج من بلادنا ، ولما انصرف أغروا به سفهاءهم فوقفوا له سماطين وجعلوا يرمونه بالحجارة ويصيحون خلفه ويسبونه ويضحكون حتى أدموا عرقوبيه وكعبيه . وكان زيد ﷺ يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه .

## إجابة أهل المدينة ومبايعتهم :

كان رسول الله ﷺ لا يسمع بقادم إلى مكة له شرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه أن يعينه حتى يبلغ رسالة ربه وله الجنة . وفي السنة الحادية عشرة من البعثة ، خرج النبي ﷺ في موسم الحج على عادته ليلًا حتى لا يحول بينه وبين القبائل أحد من المشركين ، وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما فمروا ببعض القبائل فردوا ردًّا لطيفًا ولم يستجيبوا ، ثم مروا بِعَقبة مِنى فالتقوا بستة أشخاص من أهل المدينة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : إنه للنبي الذي تَوَعدنا به يهود ، وكانوا كثيرًا ما يسمعون منهم ذلك ، لأنهم كانوا يساكنونهم في المدينة ، فآمنوا به وصدقوه ، ووعدوه أن يرجعوا إلى قومهم ويدعوهم إلى ما دعاهم إليه في الموسم العام القابل .

وفي موسم العام التالي وافى النبي ﷺ ليلًا عند العقبة اثنا عشر رجلًا منهم ، فبايعوه ما أراد . ثم انصرفوا إلى المدينة ، وبعث النبي ﷺ معهم رجلين يقرئانهم القرآن ، فأسلم على يديهما خلق كثير بحيث لم تبق دار إلا وفيها رهط يظهرون الإسلام .

ولما حان موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة

تسائل المسلمون من أهل المدينة : حتى متى رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ؟ فلما قدموا جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات واعدوه بعدها في الشعب الذي عند العقبة بعد مضي ثلث الليل ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين . فلما اجتمعوا دعاهم إلى الله وقرأ علهم القرآن ثم بايعوه على النصرة إذا قدم إليهم ، ورجعوا إلى المدينة .

* * *

# الدور المدني والإذن بالقتال

## الهجرة والمؤاخاة :

أمر النبي ﷺ من كان معه بمكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة ، وقال لهم : إن اللّه قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها . فبادروا إليها وخرجوا أرسالًا يتبع بعضهم بعضًا سرًّا ، إلا قليلًا منهم هاجروا علنًا ، وطفق المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم ، فلم يبق في مكة إلا من حبسه المشركون من المستضعفين .

وأقام النبي ﷺ بمكة ينتظر الإذن من ربه بالهجرة ، وبقي معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما واجتمعت قريش في دار الندوة للتشاور في أمره ، ثم اتفقوا على أن يخرجوا من كل قبيلة شابًّا جلدًا ، فيقفون أمام باب بيته ، ويضربونه ضربة رجل واحد عند خروجه ، فيتفرق دمه بين القبائل ، ويعجز قومه عن طلب الثأر ، فيرضون بالدية ، غير أن اللّه سبحانه أرسل إلى جبريل عليه السلام وبلغه الأمر بالهجرة ليلًا ، فجاء إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه وأخبره بالإذن وأمره بالتجهز ، وواعده السحر ، ثم خرجا ومكثا بغار ثور ثلاثة أيام لتهدأ العيون ،

وطلبه المشركون أشد الطلب ، وجعلوا جوائز لمن يأسره أو يقتله ، ومروا على الغار ، فأعمى الله أبصارهم عنهما .

وعلمت الأنصار بقدومه ، فتلقوه بظهر الحرة ، ونزل في بني عمرو بن عوف ، ولبث فيهم بضع عشرة ليلة ، فأسس المسجد عندهم في قُباء وصلى فيه ، ثم ارتحل من قباء إلى المدينة ، ففرح أهلها بقدومه وتنازعوا أيهم ينزل عنده ، حتى بركت ناقته جانب دار أبي أيوب ﷺ فنزل عنده ، ولم يزل في منزله حتى بنى مسجده ومساكنه بجواره .

ولقي المهاجرون عند الأنصار خير دار وخير جوار ، أَحَلُّوهم في بيوتهم وقاسموهم أموالهم ، بل آثروهم على أنفسهم ، وما نزل مهاجر على أنصاري إلا بقرعة ، وآخى النبي ﷺ بين الجانبين وعوضهم الله خيرًا مما ضحوا به .

**الإذن بالقتال :**

أقام النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في مكة بضع عشرة سنة يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلون بالتي هي أحسن ، ولحقت به وبأصحابه الإحن والمحن ، فصبروا على ما أوذوا في جنب الله كما سلف ، ومن فكر منهم بالدفاع عن نفسه قيل له كما ورد في الآية ﴿ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ ﴾ فكانوا مأمورين بالصبر . ولما هاجروا إلى المدينة فرارًا بدينهم وبدنهم صادرت قريش أموالهم وصدتهم عن المسجد الحرام بمكة ، وحرضت عليهم قبائل العرب ،

فشمروا لهم ساعد العداوة ، ومكر بهم جيرانهم اليهود ، فكانوا في قلق دائم .

وجاء الإذن بالقتال في أول السنة الثانية للهجرة ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [الحج : ٣٩- ٤٠] ، وهي أول آية نزلت في الجهاد ، ثم أنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] وقوله : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣] وقوله : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

## الجهاد المشروع والظلم الممنوع :

ثم فرض الجهاد العادل الرحيم للمحافظة على الكيان وتبليغ الدعوة وإزالة العقبات ، فأنزل الله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣، والتحريم : ٩] وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف : ١٠- ١١] .

ومن الجدير بالذكر أن لفظ الجهاد أو القتال لا يذكر في القرآن الكريم إلا وهو مقرون بعبارة « في سبيل اللّه » ، ليدل على أن الغاية منه مقدسة نبيلة ، وهي إعلاء كلمة اللّه ، وليس السيطرة أو المغنم أو الاستعلاء في الأرض .

إن الجهاد والدفاع عن النفس حق أقرته جميع الشرائع السماوية على لسان جميع الأنبياء وهو وسيلة لردع الطغاة وإزاحة العقبات وتحقيق العدل كما أمر اللّه ، وليس غاية في حد ذاته ، إذ ليس القتل والتدمير والتحريق مطلبًا ، فيدفع الشر بالأخف إن أمكن ، فإن لم يكن فالجهاد مشروع والظلم فيه ممنوع . وقد جاهد موسى وهارون ويشوع بن نون وطالوت ( شاول ) وداود وسليمان عليهم السلام جهادًا عادلًا رحيمًا [1] . ثم جاء النبي الخاتم المنتظر بعدهم رحمة للعالمين حقًّا ، ليس بفظ ولا غليظ ، يحب الحق ويكره الباطل ، يقيم العدل ويمنع الظلم ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يتلطف بالمساكين ويعطف على الضعفاء ، بل يعفو عمن أساء إليه ويحسن إلى الناس جميعًا حتى في أشد الحروب .

---

( ١ ) غير أن أحبار اليهود ينسبون إلى الأنبياء في أسفارهم ، التي كتبوها ووضعوها في العهد القديم مجازر وجرائم حرب وفظائع إرهاب طالت أطفال أعدائهم وحيواناتهم ذبحًا وحرقًا ، وذلك ليبرروا قسوتهم المفرطة مع خصومهم ومكرهم بهم بوجه مشروع عندهم .

● عن كعب بن مالك عن عمه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ حين بعث إلى ابن أبي الحقيق بخيبر نهى عن قتل النساء والصبيان [1] .

● وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقتلوا الذرية في الحرب** » فقالوا : يا رسول الله ، أليس هم أولاد المشركين ؟ قال : « **أو ليس خياركم أولاد المشركين** » [2] .

● وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فقال : « **سيرو باسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدًا** » [3] .

● وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا صغيرًا ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا ، إن الله يحب المحسنين** » [4] .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال : « **اخرجوا باسم الله تعالى ، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا**

---

(١) أخرجه أحمد . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال أحمد رجال الصحيح . ا. هـ. وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث الزهري مرسلًا .

(٢) أخرجه أحمد . وقال في مجمع الزوائد : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه .

(٤) أخرجه أبو داود . وفي إسناده خالد بن الفِزْر ، لكن يشهد له ما قبله .

**ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع »** [1] .

ثم سارت أمته من بعده على نهجه ، ولاسيما الخلفاء الراشدون ﷺ الذين أمرنا أن نقتدي بهم من بعده .

● عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر ﷺ بعث جيوشًا إلى الشام ، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان ، وكان يزيد أمير ربع من تلك الأرباع ، فقال : إني موصيك بعشر خلال : لا تقتل امرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هرمًا ، ولا تقطع شجرًا مثمرًا ، ولا تخرب عامرًا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة ، ولا تعقرن نخلًا ولا تحرقه ، ولا تغلن ولا تخبن [2] .

● روى الطبري في التاريخ وابن الأثير في الكامل أن أبا بكر ﷺ قال لجيش أسامة ﷺ : يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

---

(١) أخرجه أحمد . وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وهو ضعيف ، ووثقه أحمد ، لكن له شواهد . وفي الباب نحوه عن علي ﷺ عند البيهقي .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ .

● وخطب عمر بن الخطاب ﷺ المجاهدين فقال : لا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا ولدًا ، ونزهوا الجهاد عن عَرَض الدنيا ، وأبشروا بالأرباح في البيع الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

**أقوال منسوبة للمسيح ظاهرها العنف :**

جاء في إنجيل متى ( ١٠/٣٤ - ٣٦ ) : لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى العالم ، ما جئت لأحمل سلامًا بل سيفًا ، جئت لأفرق بين الابن وأبيه والبنت وأمها والكنة وحماتها ، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته .

وفي إنجيل لوقا ( ١٢/٤٩ ) : جئت لألقي نارًا على الأرض ، وكم أتمنى لو اشتعلت .

وفي ( ١٢/٥١ - ٥٣ ) : أتظنون أني جئت لألقي السلام على الأرض ؟ أقول لكم : لا بل الخلاف ، فمن اليوم يكون في بيت واحد خمسة ، فيخالف ثلاثة منهم اثنين ، واثنان ثلاثة ، ويخالف الأب ابنه ، والابن أباه ، والأم بنتها ، والبنت أمها ، والحماة كنتها ، والكنة حماتها .

وفي ( ٢٢/٣٥ - ٣٦ ) : ثم قال لتلاميذه : عندما أرسلتكم بلا مال ولا كيس ولا حذاء ، هل احتجتم إلى شيء ؟ قالوا : لا ، فقال لهم : أما الآن فمن عنده مال

فليأخذه ، أو كيس فليحمله ، ومن لا سيف عنده فليبع ثوبه وليشتر سيفًا .

وفي ( ٣٨/٢٢ ) : فقالوا : هو ذا هنا سيفان . فقال لهم : يكفي .

ونحن المسلمين لا نتسرع كما يتسرع غيرنا ونقول إن المسيح عليه السلام يحب العنف ويدعو إلى الإرهاب ويأمر بقطيعة الرحم والإساءة إلى الأقارب ، وإنما نقول : لو ثبت نقل هذا الكلام عنه لكان يطلب إعداد العدة لدفع الظلم والدفاع عن النفس وحفظ العرض ، وإلا فقد الثوب والحياة وغير ذلك ، فهذا جهاد مشروع .

ونعتقد أيضًا أنه عليه السلام دعا كسائر الأنبياء إلى صلة الرحم والإحسان إلى الأقارب وحض على إكرام الأبوين تمامًا كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ ﴾ [لقمان : ١٥] وإنما أراد من ذلك الاختلاف في المعتقد ، فمن الناس من يؤمن برسالته ومنهم من لا يؤمن ، فعلى الإنسان أن يتبع الحق ويخلص في عقيدته وعبادته وإن خالف أقاربه في ذلك من غير أن يسيء إليهم ، بل عليه أن يتحملهم ، وهو عليه السلام يعرف بني إسرائيل حق المعرفة .

## لا إكراه في الدين

يزعم المغرضون أن محمدًا ﷺ أقام دينه بالقوة والإكراه ، ووضع السيف في يد أتباعه وقال للناس : أسلموا أو موتوا ، ويستدلون على ذلك بظاهر بعض الآيات التي تحض على الجهاد ، ويتناسون الحقائق والوقائع ، فهم يعلمون أن الجهاد لم يكن في يوم من الأيام لإكراه الناس على الدخول في الإسلام قسرًا ، ولم يحدث في عصر النبوة ولا في عصر الخلفاء الراشدين ولا فيما بعدهما أن خَيَّر المسلمون قبيلة غزوها أو أهل مدينة فتحوها بين الإسلام أو السيف البتة .

كان محمد ﷺ نبيًا مجاهدًا كما كان موسى وفتاه وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام ولم تكن الحرب عند أحدهم مطلوبة لذاتها أو للانتقام أو للإبادة أو الطرد والتصفية العرقية ، وإنما هي مشروعة لاستبعاد الفتنة والظلم وكسر شوكة المعتدين . قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦١- ٦٢] .

## أصناف الناس في نظر الإسلام :

يقسم الناس من حيث الدخولُ في الإسلام وعدمُه إلى الأصناف التالية :

١ - مسلمون ، وهم الذين اعتنقوا الإسلام والتزموا بمنهجه عقيدة وعبادة ونظامًا ، ينفذون مبادئه ويطبقون أحكامه ، ويحرصون على نشره والدعوة له في الآفاق ، فهؤلاء إخوة متحابون متضامنون ، وعليهم أن يتناصروا جميعًا إن وقع على بعضهم ظلم أو عدوان ، وإن وقع خلاف فيما بينهم ، فعليهم أن يسعوا إلى المصالحة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

٢ - غير مسلمين ، وهم قسمان :

أ - مسالمون لا يقفون في طريق الدعوة ،ولا يمالئون خصومها ، ولا يضطهدون أهلها ، سواء كانوا ذميين أو معاهدين أو مستأمنين ، فهؤلاء لهم البر والوفاء والاحترام المتبادل ما داموا محافظين على العهد والود ؛ قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

وإذا رابنا منهم شيء فلا يجوز الغدر بهم ولا مباغتتهم . قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ

سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

وعن عمرو بن عبسة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها حتى ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء [١] .

ب - محاربون شهروا السلاح في وجه الدعوة أو صدوا عن دين الله ووقفوا أمام نور الإسلام حجابًا كثيفًا ، أو استولوا على أرض المسلمين أو ظاهروا أعداءهم عليهم ، فليس لهم إلا المنابذة والدفاع عن أرض المسلمين وحقوقهم، ويستحب الحوار والإنذار قبل اللجوء إلى الحرب . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٩] .

## جوانب من جهاد المسلمين العادل الرحيم :

### ١ - فتح مكة :

هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة فارين بدينهم وبدنهم تاركين دورهم وأموالهم ، وخرج النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ من بين السيوف والقسي ، ونجيا بفضل الله من المطاردة ، ووصلا إلى المدينة سالمين ، وما مضت بضع سنين حتى مكن الله سبحانه نبيه ﷺ والمسلمين من فتح مكة ، فأعطى

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .

لأهلها الأمان ، ثم دخلها راكبًا الناقة مطأطئًا رأسه تواضعًا لله حتى مست لحيته الرحل وهو يقول : « **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** » ثم جمع أهل مكة وقال لهم : « **ما تظنون أني فاعل بكم ؟** » قالوا : خيرًا ، أخ كريم وابن أخ كريم : فقال : « **لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء** » . لم يعف عنهم فحسب ، بل رفض أن يوقع اللوم عليهم رغم ما فعلوه به وبأصحابه من ظلم واضطهاد ، ولذلك سموا الطلقاء .

ومن الغريب العجيب أن بعض المغرضين يذكر في كتاباته أن الطلقاء هم أهل مكة الذين دخلوا في الإسلام كرها . مع أن هذا لم يحصل البتة ، فلم يكره أحدًا منهم على الدخول في الإسلام ، وإلا لسُمُّوا المكرهين أو الحبساء لا الطلقاء ، غير أنهم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجًا بعد تفكير حرٍّ واقتناع .

**٢ - الفتح الأول للقدس :**

استولى الروم على بلاد الشام وبيت المقدس وحكموها مدة تزيد على ثلاثمئة عام ، ثم كان بين المسلمين والروم ما كان من حروب في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين ﷺ إلى أن تم فتح بلاد الشام واستخلاصها من أيدي الروم ، وفي أثناء حصار مدينة القدس طلب أهلها الصلح ، واشترطوا أن يكون بحضور خليفة المسلمين ، فحضر

عمر ﷺ بنفسه عام ١٦هـ تلبية لرغبتهم ، فخرجوا لاستقباله، وعلى رأسهم البطريرك صفرنيوس ، فأحاطه عمر ﷺ بعنايته، ثم أبرم معهم معاهدة الصلح ، وكتب لهم وثيقة الأمان المعروفة بالعهدة العمرية ، واشترط البطريرك في عقد التسليم ألّا يدخل المدينة أحد من اليهود ، فأجابه عمر ﷺ إلى طلبه ، وكتب له الوثيقة التالية :

**بسم الله الرحمن الرحيم** . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صُلُبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويُخلي بيعهم وصُلُبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار

مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الجزية . وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الوثيقة لا زالت محفوظة في كنيسة القيامة ، وقد نشرت بعض المجلات صورتها ، ومنها مجلة العربي الكويتية في شهر كانون الثاني عام ٢٠٠٣م .

دخل عمر ﷺ كنيسة القيامة مع البطريرك ، وحان وقت الصلاة ، فقال عمر ﷺ أين نصلي ؟ قال البطريرك : مكانك فصل . فقال عمر ﷺ : لا ، أخشى أن يأتي المسلمون من بعدي فيحولون الكنيسة إلى مسجد ويقولون : مكان صلى فيه عمر . ثم خرج فصلى بعيدًا عن الكنيسة .

ألا فنظرة إنصاف إلى التاريخ ، من كان يمنع عمر ﷺ وغيره ممن أتى بعده من هدم تلك الكنائس لو أرادوا هدمها ؟ فقد تحطمت إمبراطورية الفرس وتلاشت ، ودُحر الروم واختفى أثرهم ، إن بقاء تلك الكنائس وسائر الكنائس القديمة في بلاد الشام إلى اليوم شاهد على عدالة المسلمين ورحمتهم ، وعدم إكراه أحد من اليهود أو النصارى على إدخالهم في دينهم قسرًا ، بل عاش اليهود والنصارى بين المسلمين آمنين مطمئنين ، فهل عاش المسلمون بين اليهود

والنصارى آمنين مطمئنين سابقًا إبان الحروب الصليبية ، ولاحقًا إبان الاستعمار ، وفي أيامنا في فلسطين المحتلة ؟

لقد وجد أهل القدس وغيرهم بعد الفتح من المسلمين صدقًا ووفاء وعدلًا نابعًا من تدين قلبي ، لا دعوة سياسية ، فشرعوا يدخلون في دين الله أفواجًا .

### ٣ - الفتح الثاني للقدس :

شتان بين فتح المسلمين الأندس وإقامتهم الحضارة فيها وبين دخول الصليبيين بلاد الشام وتدميرهم المدن وارتكابهم المجازر ، وشتان بين احتلالهم القدس وذبح سكانها صغارًا وكبارًا بعد إعطائهم الأمان ، وبين فتحها بعد تسعين عامًا ودخول صلاح الدين الأيوبي فيها ، عمد الصليبيون إلى نهج التطهير العرقي ، فسالت الشوارع بدماء المسلمين كأيام الأمطار ، ثم احتفلوا بخمرهم ورقصهم على جثث المسلمين ، أما صلاح الدين رحمه الله فقد أعطى لأحفاد المحتلين الجزارين الأمان ، ثم دخلها وعيناه تدمعان ، فهدأ من روعهم ، ثم طلب منهم العودة إلى بلادهم ، فذهبوا بأموالهم وذرياتهم ، ومن لم يستطع الرجوع وهو يرغب فيه أعانه عليه ، ورحب بمن اختار أن يقيم بين المسلمين ، ثم أعطاهم أمانًا وعاهدهم ، فسكنوا في أماكن معروفة في بلاد الشام ، شكلوا فيها مدنًا وقرى ، لا زال أحفادهم يقيمون فيها إلى اليوم ، ولا زال التاريخ الأوربي يشيد بصلاح الدين إلى اليوم .

## وثائق تاريخية عن فظائع الحروب الصليبية :

● روى ابن الأثير في تاريخه عن دخول الصليبيين إلى القدس فقال [١] : دخل الفرنج القدس نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان ، وركب الناسَ السيفُ ، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون فيه المسلمين ، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به ، وقاتلوا فيه ثلاثة أيام ، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا ، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف .

● ووصف ستيفن رنسيمان في كتابه تاريخ الحروب الصليبية ما حدث في القدس يوم دخلها الصليبيون فقال [٢] : وفي الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين إليه ، وحينما توجه قائد القوة ( ريموند أجيل ) في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه ، وتركت مذبحة بيت المقدس أثرًا عميقًا في جميع العالم ، وليس معروفًا بالضبط عدد ضحاياها ، غير أنها أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود ، بل إن كثيرًا من المسيحيين اشتد جزعهم لما حدث .

---

(١) انظر الكامل ( ١٨٩/٨ - ١٩٠ ) .

(٢) انظر ( ٤٠٤/١ - ٤٠٦ ) .

وقد وصف كثير من المؤرخين أحداث المذبحة التي حدثت في القدس يوم دخول الصليبيين إليها ، وكيف كانوا يزهون بأنفسهم ، لأن ركب خيولهم كانت تخوض في دماء المسلمين التي سالت في الشوارع ، وكان من وسائل الترفيه لدى الصليبيين أن يشووا أطفال المسلمين كما تشوى النعاج . ويذكر الكثيرون ما فعله ريتشار قلب الأسد في الحملة الصليبية الثالثة عند احتلاله عكا بأسرى المسلمين ، فقد ذبح ( ٢٧٠٠ ) أسير من المسلمين الذين كانوا في حامية عكا ، ثم لقيت زوجات وأطفال الأسرى مصرعهم إلى جوارهم .

● ذكر المؤرخ والمفكر الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه الحضارة العربية روايات عن رهبان ومؤرخين رافقوا الحملة الصليبية ، ورأوا ما حدث حين دخولهم القدس [(١)] . ومنها ما يلي :

قال الراهب روبرت ، وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس : كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل ، كاللبؤات التي خطفت صغارها ، كانوا يذبحون الأولاد والشباب ويقطعونهم إربًا إربًا ، وكانوا يشنقون أناسًا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، وكان قومنا يقبضون كل شيء

(١) انظر ( ص ٣٢٥ - ٣٢٧ و٣٩٦ ) .

يجدونه ، فيبقرون بطون الموتى ، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث .

وقال كاهن أبوس ريموند داجيمل : حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها ، فقد قطعت رؤوس بعضهم ، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم ، وبقرت بطون بعضهم ، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار ، وأحرق بعضهم في النار ، فكان ذلك بعد عذاب طويل ، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم ، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ، ولكن لم يكن كل هذا سوى بعض ما نالوا .

ووصف مذبحة مسجد عمر فقال : أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان ، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك ، وكانت الأيدي المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها ، فكم اتصلت ذراع بجسم لم يُعرف أصلها . ولم يكتف الفرسان الصليبيون بذلك ، فعقدوا مؤتمرًا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كان عددهم ستين ألفًا ، فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام ، ولم يستبقوا منهم امرأة ولا ولدًا ولا شيخًا .

وقال أيضًا : وعمل الصليبيون مثل ذلك في مدن

المسلمين التي اجتاحوها ، ففي المعرة قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين في الجوامع والمختبئين في السراديب ، فأهلكوا صبرًا ما يزيد على مئة ألف إنسان في أكثر الروايات ، وكانت المعرة من أعظم مدن الشام بعدد السكان بعد أن فر إليها الناس بعد سقوط أنطاكية وغيرها بيد الصليبيين .

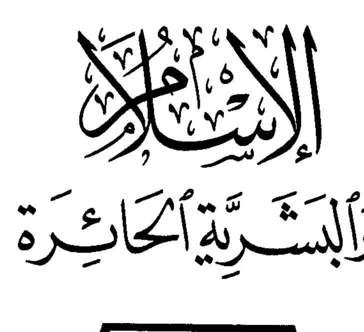
هذا غيض من فيض مما فعله الصليبيون خلال الحروب الصليبية الطويلة الأمد ، فهل كان هذا تطبيقًا لما يروونه في إنجيل متى ( ٣٩/٥ - ٤١ ) : لا تنتقموا ممن يسيء إليكم ، من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضًا . وفي لوقا ( ٢٧/٦ - ٣٠ ) : أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضيكم وباركوا لاعينكم ، وصلوا لأجل المسيئين إليكم ، من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أخذ رداءك فلا تمنع عنه ثوبك .

**وصفوة القول** : هذا هو النبي محمد ﷺ وهؤلاء هم أصحابه ﷺ وهذه هي أمته ، ولو قابل منصف بموضوعية وتجرد سيرة محمد ﷺ بسيرة سائر الأنبياء فلن يجد فضيلة تمثلت في أحدهم إلا وهي في شخصيته أتم وأكمل ، ولن يرى غضاضة نسبت إلى أحدهم إلا وهو نقي منها ، ويزيد عليهم جميعًا أنه بنى بفضل اللّٰه تعالى من تلك القبائل

التائهة المتناحرة أمة أنبتت الحضارات المادية والأخلاقية بجميع وجوهها دون أن يكون لها مطمع سوى نشر الإسلام وإعلاء كلمة اللّٰه ، ثم توفير العدالة والأمن لكل نفس خلقها اللّٰه من إنسان أو حيوان ، والتاريخ شاهد على ذلك في الحرب والسلم ، مما دفع المفكر الفرنسي غوستاف لوبون أن يقول كلمته المشهورة : « ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من المسلمين » .

تنبيه : إذا قدر اللّٰه وتمكن المسلمون من أوربة ، وأراد أحفاد الصليبيون أن يعايشوا المسلمين بذمة أو معاهدة ، فلا يجوز الانتقام منهم أو مسهم بسوء ، ويعاملون كما عامل النبي ﷺ أهل مكة ، وكما عامل صلاح الدين الصليبيين بعد فتح القدس ، وإنما يقتل من كان منهم مجرم حرب أو غادرًا ناكث عهد ، لأن الإسلام يأمر بذلك ، وليس المسلمون الحقيقيون كغيرهم من الناس ، والتاريخ شاهد .

* * *



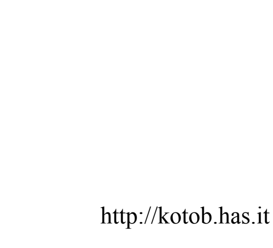




## تعريف موجز بدين الإسلام

ويحتوي على الفصلين التاليين :

- **خصائص الدين الإسلامي وأركانه .**
- **النظم التشريعية وخصائصها .**









## خصائص الدين الإسلامي وأركانه

ويحتوي على الفروع التالية :

- **خصائص الدين الإسلامي .**
- **العقائد .**
- **العبادة ومكارم الأخلاق .**



## خصائص الدين الإسلامي

### تعريفه :

هو المنهاج الشامل المتكامل الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ إلى العالمين ، ورضيه لهم دينًا ، مما يتعلق بالعقيدة لتحرير العقل البشري أو بالعبادة الروحية والأخلاق لتحرير الإنسان من الزيغ والأهواء والشهوات ، أو بالأنظمة التشريعية لإصلاح الأسرة والمجتمع وتحرير الأمم من الفوضى ، تتعاون روافده على تكوين الشخصية الإنسانية المثالية ، وعلى صنع المجتمع الفاضل ، وعلى إقامة معالم الحق والعدل والحرية والمساواة في فجاج الأرض وبين جنبات الحياة ، وهو متضمن جميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة ، ما من خير إلا دعا إليه وأمر به ، وما من شر إلا حذر منه ونهى عنه ، فهو متميز بكونه صالحًا ومصلحًا لكل زمان ومكان وأمة ، ختم الله به الأديان وأتم به النعمة . قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وليس هذا ادعاءً أو تقولًا ، بل قد طُبقت مبادؤه عمليًا

ونفذت أحكامه خلال فترة طويلة من الزمن ، فأظهر للتاريخ البشري النماذج العملية العالمية في شتى ميادين الفضيلة والأخلاق .

**خصائصه :**

يصور المغرضون للناس أن دين الإسلام جامد لا يساعد على التقدم ، بل يجعل أتباعه غير مؤهلين للتكيف مع منجزات العصر الحديث ، ويعزون تخلف المسلمين الحالي إلى دينهم ، مع أن كثيرًا من المسلمين في عصرنا لا يمثلون الإسلام حق التمثيل ، أو لا يفهمونه حق الفهم ، أضف إلى ذلك تشويه الصورة المتعمد والمتنوع الذي تقوم به أجهزة الإعلام المغرضة ، وخلو الساحة من دعاة متمكنين تتاح لهم فرص وأجهزة إعلام قوية ليزيلوا الغبار المتراكم ، ويظهروا النصاعة ، وسوف يتضح هذا من خلال استعراض خصائصه ، وأهمها ما يلي :

١ - **عالميته** : فهو ذو صبغة إنسانية ، وقد دلت الآيات القرآنية على أن رسالة محمد ﷺ عامة للناس كلهم ، وهذه الخصيصة لم تكن لغيره من الرسالات السماوية ، بل كان كل نبي يرسل إلى قومه خاصة .

٢ - **شموله** : فلم يعالج الإسلام في حياة الإنسان جانبًا دون جانب ، ولم ينظم ناحية دون أخرى ، بل جاء شاملًا كل ما يحتاجه من عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع في

الأحوال الشخصية وتنظيم الأسرة ، وفي الأمور المدنية والمعاملات المالية ، وفي الجنايات وعقوباتها ، وفي قواعد الاقتصاد وركائز المجتمع ، وفي السياسة وأسس الحكم ، وفي العلاقات الدولية والميادين العسكرية ، وفي غير ذلك مما يحتاجه الإنسان ويواجهه في حياته وتعامله مع الآخرين ، وفيما يتفرع من ذلك كله ، فهو نظام شامل كل شؤون الحياة ، كامل متكامل .

٣ - **دين الفطرة** : فمن أمعن النظر في المبادئ والنظم التي جاء بها الإسلام وجده يتطابق تطابقًا تامًّا مع طبيعة الإنسان ، ويتلاءم مع فطرته ، ويلبي حاجاته ورغباته وميوله الروحية والعقلية والجسمية دون شطط أو تكلف :

● فقد دعا إلى توحيد الله والبعد عن الشرك والوثنية بأي شكل من الأشكال .

● ونظم حالات الإنسان وأقام التوازن بين مطالب العقل والروح والجسم وسائر الماديات ، فشرع عبادات تزكي النفس وتغذي الروح ، وأمر بالعناية بالجسم وحرم كل ما يؤذيه ، وهيأ للفرد مجالات الانتفاع بنعم الله ، وطلب منه أن يلم بجوانب المعرفة .

● ودعا إلى الزواج الشريف والإنجاب الأصيل والبعد عن الرهبنة وكبت النفس .

- وأمر بالأخلاق الكريمة كالصدق والأمانة والنصح والاستقامة وحفظ العهد والوفاء بالوعد حتى مع الأعداء .
- أباح الطيبات وحرم الخبائث والمؤذيات في المأكل والمشرب وغيرهما .
- دعا إلى طيب الكسب وإباحة التملك والبعد عن الغش والظلم .
- أعطى الحرية في حدود معقولة لا ينشأ عنها عدوان أو ظلم ، وأقر مبدأ الدفاع عن النفس ومسؤولية الإنسان عما يعمل .

## منزلة العقل في الإسلام :

إن كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ هما أساس العقائد والعبادات الإسلامية وجميع الأحكام الشرعية ، وهذه العقائد والأحكام يؤيدها العقل السليم ، ويثبتها النظر الصحيح ، فالأنبياء لا تأتي بما تحيله العقول ، وربما تأتي بما تحار فيه ، وتدعوها إلى النظر والتفكر ، ولهذا جعل الله العقل مناط التكليف والقيام بالواجبات الشرعية ، فمن لم يكن عاقلًا كالمعتوه والمجنون ، أو لم يكن راشدًا كامل العقل كالصغير ليس أهلًا للتكليف ولا محلًّا له .

والإسلام لم يحجر على الأفكار ، ولم يحبس العقول ، وإنما أرشدها إلى التزام حدها ، وبين لها ضآلة معرفتها ، قال

تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] وحثها على البحث والنظر والاستزادة ، ويظهر ذلك من النواحي التالية :

١ - أمر بإعمال العقل وحث على العلم فقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] .

٢ - طلب من الإنسان أن يفكر منفردًا ومع غيره ، ليكون إيمانه مبنيًا على التفكير السليم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ [سبأ: ٤٦] .

٣ - طلب منه أن يتفكر في الكون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [يونس: ١٠١] .

٤ - ذم التقليد الأعمى الموروث من غير وعي ولا تفكير ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠- ١٧١] .

٥ - نهى عن الاستسلام لكل ما يطرح من أفكار وعن

الاتباع بغير دليل أو برهان ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣١] .

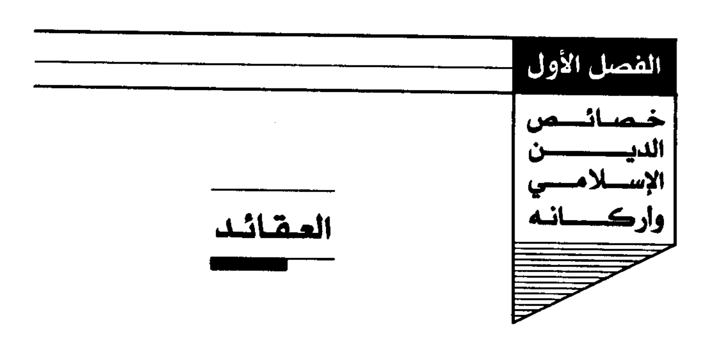
**أقسام العلوم الدينية :**

تقسم العلوم الدينية إلى قسمين ، علم عقائد وعلم أعمال :

فعلم العقائد يشمل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ويمكن أن يشمل أيضًا أركان الإسلام ، إذ لابد من الإيمان بها جميعًا قبل العمل .

وعلم الأعمال هو علم التكاليف المتعلقة بالظاهر والباطن، ومنها العبادات والأخلاق والمعاملات التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض وسائر الفروع التشريعية .

* * *




**تعريف العقيدة :**

العقيدة ما انعقد عليه القلب من المبادئ والقيم ، واستقر في النفس فأصبح جزءًا منها ، يتعذر تحويله عنها .

**أثرها في الحياة :**

تنعكس العقيدة على تصرفات الإنسان بأنواعها إيجابًا أو سلبًا ، وهي تحدد في كل أمة الطريق الذي تنبثق عنه حضارتها ونظامها الاجتماعي ، ومن ثَم تظهر أهمية العقيدة الإسلامية في حياة الإنسان ، فبمقدار ما تكون صحيحة الفهم سليمة التطبيق يحصل العدل والسعادة في المجتمع .

وتتألف العقيدة الإسلامية من أركان لابد من تحقيقها جميعًا ليكون الإيمان صحيحًا ، ألا وهي أركان الإسلام وأركان الإيمان .

## أ - أركان الإيمان

الإيمان هو تصديق بالجَنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، مبدؤه التصديق

القلبي الجازم ، وأركانه ستة :

**١ - الإيمان بالله تعالى ربًا واحدًا لا معبود بحق سواه :**

وهو واحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته ، لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ، متصف بكل كمال منزه عن أي نقصان ، بل يستحيل عليه أن يتصف بصفة نقص أو إخلال بجلاله ، فلا ينام ولا يتعب لكمال حياته وقوته ، ولا يندم لأنه علام الغيوب ، ولا يغفل عن أعمال عباده ، ولا يظلم أحدًا منهم لكمال رقابته وإحاطته وعدله ، وهو على كل شيء قدير .

ومن ثمرات الإيمان بالله التعظيم والطاعة والمحبة والاستقامة .

**٢ - الإيمان بالملائكة :**

الملائكة مخلوقات مطهرة ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الانقياد التام لأوامره والقدرة على تنفيذها ، فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته ، قال تعالى عنهم : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٥- ٢٧] وقال أيضًا ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

عددهم كبير لا يحصيهم إلا الله ، وقد حجبهم عنا فلا نراهم .

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة العلم بعظمة الخالق وقدرته .

**٣ - الإيمان بالكتب :**

أنزل اللَّه سبحانه على بعض رسله كتبًا فيها مناهج توصل البشر إلى مرضاة اللَّه تعالى وإلى السعادة في الدنيا والآخرة ، فيها أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه ومواعظه وزواجره ووعده ووعيده ، فهي حجة على العالمين ، ومحجة للعاملين .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

ومن ثمرات الإيمان بالكتب العلم برحمة اللَّه بعباده وعنايته بهم بتعليمهم حكمته وتشريعه . ونعلم من الكتب ما يلي :

أ - التوراة التي أنزلها اللَّه على موسى عليه السلام وهي أعظم كتب بني إسرائيل .

ب - الإنجيل الذي أنزله اللَّه على عيسى عليه السلام وهو مصدق للتوراة ومتمم لها .

جـ - الزبور الذي آتاه اللَّه داود عليه السلام وفيه حِكَم ومواعظ .

د - صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام .

هـ - القرآن الكريم ، وقد أنزله اللَّه سبحانه على خاتم النبيين ، فهو خاتم الكتب ولا ناسخ له . قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

وقال سبحانه : ﴿ الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ١- ٤] .

والكتب السابقة كلها مؤقتة بأمر ينتهي بنزول ما ينسخها ويظهر ما اعتراها من تغيير وتحريف ، والمعول عليه في قبولها توثيق نقلها ، أما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي نقل إلينا بلغته الأصلية من فم النبي ﷺ نقلًا متواترًا حتى في مخارج حروفه وحدوده وصفة قراءته ، وقد تم نقله بطريقتين :

**الأولى** : التلقي من فم النبي ﷺ مباشرة وحفظه على سبيل التواتر ، ثم تبليغه للناس .

**الثانية** : الكتابة بين يدي النبي ﷺ فقد كان له كتبة للوحي يبادرون إلى كتابة ما نزل عليه حين نزوله .

وهكذا نقل إلينا متواترًا حفظًا في الصدور وكتابة في السطور منذ نزوله أولًا بأول في زمن النبي ﷺ ولذلك سلم بلغته الأصلية من التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان ،

فهو هو من الفم الطهور . بخلاف أسفار الكتاب المقدس بعهديه ، فإنها لم تنل حظها من التوثيق البتة .

**أما التوراة** فقد كانت في التابوت الذي استولى عليه الفلسطينيون كما في سفر صموئيل الأول ( ٤/١٠ - ١١ ) ، ثم عاد التابوت بعد سبعة أشهر بطريقة عجيبة كما في الفصل الخامس والسادس من السفر نفسه ، غير أن السفر لم يتعرض لما في داخل التابوت . وإبان حكم الملوك ورث سليمان داود عليهما السلام وبقي الهيكل ، وهيأ في وسطه مكانًا للتابوت ، ووضع التابوت في المكان المعد له ، ثم فُتح وكانت المفاجأة ، ليس فيه سوى لوحي الحجر كما في سفر الملوك الأول ( ١/٨ - ١١ ) ، وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة . ومما لاريب فيه أن التوارة التي بين يدي أهل الكتاب اليوم ليست هي التي أنزلها اللّه على موسى عليه السلام قطعًا ، فإبان السبي الذي استمر سبعين عامًا قام علماؤهم بجمع أسفار التوراة وغيرها من الروايات الشفوية ، والاعتقاد السائد عند أهل الكتاب أن عزرا هو الذي لفق ونظم ما جمع من أسفار التوراة إبان السبي وبعده ، غير أن الدلائل تشير إلى أنها كتبت في مراحل متباعدة ، ثم ألحق بها أسفار خَلَّفها كتاب مجهولون عالجوها على سجيتهم ، وبحسب الظروف التي عاشوها . ومن المقطوع به أن ما جمعوه ورتبوه ضاع في حادثة تيطس بعد أن أضرم النار في الهيكل وسلب ما فيه ، ثم طفق يتتبع اليهود .

**وأما الإنجيل** فالنصارى يرون أن المسيح عليه السلام لم تكن له رسالة مكتوبة ، فلم يكتب ، ولم يأمر بالكتابة ، وإنما علم تلاميذه المختارين شفويًا بلغتهم السائدة ، وكان يلقي عليهم ذلك بحسب المناسبات والحوادث ، وبعد رفع المسيح عليه السلام تفرق أصحابه في أقطار الأرض يدعون إلى دينه ، وفي أذهانهم أثارة من أقواله وتعاليمه ، وقد نزل بأتباع المسيح عليه السلام بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بدينهم ، وهم يذكرون أنه في وسط تلك النكبات دونت الأناجيل المتعددة حتى أصبح لكل منطقة إنجيلها الخاص ، وبعد أن أفاق النصارى من الاضطهادات التي توالت عليهم هالهم أمر تلك الكتابات ، ثم انعقد مجمع نقية عام ٣٢٥م ، وجاءت الطوائف المختلفة ومعها عشرات الأناجيل ومئات الرسائل ، وكل يدعي أن ما معه هو الصحيح ، وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل ما يقويه ، لعدم الأسانيد واشتد الخلاف ، ثم مال الإمبراطور قسطنطين وكان وثنيًا وقتذاك إلى رأي الأقلية المنادية بالتثليث ٢٠٤٨/٣١٨ لاستقرار فكرة تعدد الآلهة في رأسه ، فسلطهم على غيرهم ، فباركوه ووضعوا أربعين كتابًا في السنن والشرائع واختاروا ما لا يتعارض مع نزعتهم من الكتب والرسائل ما شُكل منه فيما بعد العهد الجديد .

## ميزان التوثيق :

وضع العلماء والباحثون شروطًا وقواعد للتسليم بالكتاب السماوي ، أهمها ما يلي :

أ - أن يكون الذي ينسب إليه الكتاب قد ثبتت نبوته وعُلم صدقه بدلائل النبوة المعروفة .

ب - أن يذكر ذلك النبي بصراحة أن اللّٰه أوحى إليه به ، ويثبت ذلك بالدليل التام عنه .

جـ - أن يكون الكتاب المنسوب إلى النبي وصل بالطريق القطعي ، وأساس ذلك التواتر ، وهو أن ينقله جمع عن جمع جيلًا بعد جيل بحيث يستحيل أن يتواطؤوا على الكذب . أو على الأقل بالأسانيد الصحيحة المتصلة المشهورة إن لم يكن التواتر [١] .

وقد انفرد القرآن الكريم من بين الكتب التي سبقته بتوثيقه توثيقًا متواترًا مكينًا وصل إلى الذروة حتى في نقل طريقة قراءته بلغته الأُصلية ، وحفظه بقراءاته فرض كفاية في الأمة ، ويستحب لكل مسلم أن يحفظه غيبًا أو يكثر من حفظ سورة ، وهذا هو سر خلوده وأحد مفاتيح إعجازه .

أما العهد القديم فقد جمعت أسفاره من الروايات الشفوية دون سند يوثقها ولا تمحيص يهذبها ، ومما لاريب

---

(١) إظهار الحق ( ١/٦ ) ، محاضرات في النصرانية ( ص ٩٣ - ٩٤ ) .

فيه أن التوارة التي بين أيدي أهل الكتاب ليست هي التي أنزلها الله على موسى عليه السلام والتي فيها هدى ونور .

وأما العهد الجديد فلاريب أن الاضطهاد الذي قارن المسيحية في نشأتها وفي بداءة تدوين كتبها جعل كل عمل يقومون به سرًّا ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها .

**وصفوة القول** : إن أسفار الكتاب المقدس بعهديه لا يُعرف متى كتبت ولا أين كتبت ولا من كتبها ولا بأي لغة كتبت على وجه اليقين ، بالإضافة إلى عدم العلم التام بالمترجم الحقيقي لما ترجم منها ومبلغ أمانته وحرصه ، وقد ظهر فيها الاضطراب والاختلاف الكثير بين النسخ المتعددة مع مخالفتها للحقائق والوقائع بسبب ما اعتراها من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان خلال تلك الفترات الزمنية ، ولذلك لم تسلم من النقد الشديد حتى من علماء أهل الكتاب أنفسهم ، وسلمت به بعض المجامع المسكونية ، فقد بحث المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان المنعقد بين عامي ١٩٦٢م - ١٩٦٥م المشكلة التي تتعلق بوجود أخطاء في نصوص العهد القديم ، وبعد ثلاث سنوات من الجدل تم قبول صيغة حظيت بأغلبية ٦/٢٣٤٤ جاء فيها أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان [1] .

(١) دراسة لموريس بوكاي ( ص ٢٦ و٥٣ و٥٩ - ٦٣ ) .

وقد أنزل الله ﷻ آيات كثيرة في القرآن الكريم تصرح بوقوع التحريف والتبديل في تلك الكتب ، وتلقي باللوم على علماء أهل الكتاب ، وتنبه المسلمين إلى أن ما أنزل على الأنبياء سابقًا كان فيه هدى ونور قبل أن يضيع .

### ٤ - الإيمان بالرسل :

الرسل رجال اصطفاهم الله تعالى من خيرة النوع الإنساني ، فنبأهم وأرسلهم إلى الناس ليكونوا وسطاء بينه وبينهم ، يبلغونهم عنه ما شاء من العقائد والعبادات والأحكام وغير ذلك ، ويبشرون من آمن بحسن الثواب ، وينذرون من كفر بوبيل العقاب ، ويرشدونهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وهم جميعًا عباد لله تعالى .

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٥] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وهم كثيرون جدًا ، إذ كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، تمهيدًا وتبشيرًا بخاتم النبيين محمد ﷺ الذي سيبعثه الله إلى الناس كافة ويختم به الرسالات ، فلا نبي بعده قال تعالى : ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ

نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤- ١٦٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [غافر: ٧٨] .

وهم جميعًا متحدون في الأسس والأصول والأهداف ، وإن اختلفوا في الفروع ، فلكلٍ منهم شِرعة ومنهاج يناسبان ظرفه وقومه . والمسلمون يؤمنون بهم عامة ، ولاسيما من ذكر منهم في القرآن الكريم أو جاءت السنة صحيحة السند بذكره .

قال تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

ومن ثمرات الإيمان بالرسل العلم برحمة الله عباده وعنايته بهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وقطع حجة الكافرين يوم القيامة .

**٥ - الإيمان باليوم الآخر :**

وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده ، حيث يُبعث الناس من قبورهم أحياء بأجسادهم وأرواحهم ، ليحاسبوا على ما عملوا في الدنيا ، والناس بعد ذلك فريق في الجنة وفريق في السعير . ويتضمن الإيمان باليوم الآخر كل ما يجري لنا بعد الموت مما أخبرنا اللّٰه تعالى عنه بوساطة كتبه ورسله ، هي ثلاثة أمور :

أ - الإيمان بفتنة القبر وسؤال الملكين ، ثم نعيم القبر أو عذابه .

ب - الإيمان بالبعث يوم القيامة والحساب والجزاء .

جـ - الإيمان بالجنة والنار ، فهما مآل الخلائق .

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر الشعور بالمسؤولية ، وينتج عن ذلك الحرص على طاعة اللّٰه والرغبة في الثواب والرهبة من الإتيان بمعصية .

ومن ثمراته أيضًا مواساة المؤمن فيما يفوته من نعيم الدنيا مما طلبه أو لم يطلبه ، فما لم يأخذ جزاءه في الدنيا ، فهناك يوم آخر يعوضه اللّٰه فيه عما فاته .

**٦ - الإيمان بالقدر خيره وشره :**

وهو تقدير اللّٰه تعالى للكائنات في الأزل حسبما سبق علمه واقتضته حكمته بأنها سوف تقع في أزمنة وأمكنة

محددة معلومة عنده ، وهي سوف تقع على ما قدره سبحانه ، فيعتقد المسلم أن إرادة اللَّه الأزلية متعلقة بالأشياء وفق ما ستوجد عليه في المستقبل ، وعندما توجد تقع على وفق ما تعلقت به الإرادة .

قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١١] .

ويتضمن الإيمان بالقضاء والقدر أربعة أمور :

أ - الإيمان بأن اللَّه تعالى عليم بكل شيء جملة وتفصيلًا أزلًا وأبدًا ، ما كان وما يكون ، وكيف يكون ، فلا يتجدد له علم ، ولا يلحقه نسيان بعد علم .

ب - الإيمان بأن اللَّه تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] .

جـ - الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون ولا تتصرف إلا بمشيئته . قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

ء - الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة للَّه تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها . قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

تنبيه : الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي مشيئة العبد في أفعاله الاختيارية وقدرته عليها ومسؤوليته عنها ، فقد منح اللَّه العبد اختيارًا وقدرة يكون بهما مسؤولًا عن فعله . فلا حجة لمن يترك الواجبات أو يفعل المعاصي أو يتقاعس عن العمل والطلب ، لأنه يقدم باختياره على ما يريد دون أن يعلم ما قدره اللَّه في علمه عليه إلا بعد الوقوع .

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ما يلي :

- الاعتماد على اللَّه عند الأخذ بالأسباب ، لأن السبب والمسبب بقضائه وقدره .

- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد ، والاعتراف بنعمة اللَّه ، وزيادة الثقة به .

- الصبر والاحتساب وطرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه والرضا بما قدر اللَّه .

قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٢- ٢٣] .

## ب - أركان الإسلام

تلك هي أركان الإيمان ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ

وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]

وسبيلها التصديق القلبي الجازم ليكون الإنسان مؤمنًا ، فما الأركان التي يجب على الإنسان أن يقوم بها ليكون مسلمًا أيضًا ويتحلى بالإيمان والإسلام معًا ؟ لقد أخبرنا النبي ﷺ عنها وعلمنا إياها فقال : « **بني الإسلام على خمس** » ثم عددها ، وهي ما يلي :

**١ - شهادة أن لا إله إلا لله ، وأن محمدًا رسول الله :**

فبعد التصديق بالجنان يأتي النطق باللسان ليعبر عنه مقرًّا ومعترفًا أن لا إله معبود بحق إلا الله ، فهو توحيد خالص من أية شائبة من شوائب الشرك بجميع أشكاله ، وهو أيضًا إقرار بنبوة محمد ﷺ ورسالته .

ومن ثمرات هذه الشهادة تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقات ، واتباع هدي محمد ﷺ والعمل به .

**٢ - إقام الصلاة :**

وهي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط وصفات مخصوصة ، يقف فيها المسلم بعد أن يتوضأ خاشعًا بين يدي ربه ، فيقرأ بفاتحة القرآن وبما تيسر له منه ، ثم يسبح ربه في ركوعه وسجوده ، ويناجيه بدعائه .

وهن خمس صلوات فرضهن الله علينا في اليوم والليلة ،

وعلمنا شروطها وأركانها وسائر صفاتها رسول الله ﷺ فلا يجب على المسلم غيرهن إلا أن يتطوع .

ومن ثمراتها اطمئنان القلب وانشراح النفس والبعد عن الفحشاء والمنكر .

**٣ - إيتاء الزكاة :**

وهي فريضة مالية فرضها اللّه تعالى على أغنياء المسلمين في كل سنة مرة لسد حاجة الفقراء والمساكين ، ليست تفضلًا ولا إحسانًا من شخص لآخر ، وإنما هي حق في المال معلوم ، له مصارف محددة ، لا منة فيه لأحد على أحد .

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

**٤ - صوم رمضان :**

وهو عبادة تؤدى بالامتناع عن الطعام والشراب والجماع نهارًا كاملًا من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس في شهر واحد من السنة القمرية اختاره اللّه تعالى ، ألا وهو شهر رمضان المبارك .

**٥ - الحج :**

وهو رحلة كريمة يقوم بها المسلم مرة واحدة في عمره إلى البلد الأمين مكة المكرمة وما حولها من أماكن المشاعر المقدسة ، فيتجرد الرجل عن الزي والزينة ، ويستر جسمه

بثياب غير مخيطة ، أما المرأة فتبقى في ثيابها ، غير أنها تجتنب الزينة ، ويُحرم الحاج ناويًا أداء المناسك في المواقيت الزمانية ومن المواقيت المكانية المحددة ، ثم ينطلق ملبيًا نداء ربه ، فيطوف بالبيت الذي أسسه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وجعله الله مثابة للناس وأمنًا ، وأمر المسلمين بالتوجه نحوه في صلاتهم أينما كانوا ، ثم يسعى بين الصفا والمروة محاكيًا أم إسماعيل في حيرتها بعد أن أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يتركها هناك مع وليدها ، ويرجو الحاج ربه أن يغيثه ويفرج عنه كما أغاثها وفرج عنها بنبع زمزم ، ثم يقف على صعيد عرفات بذلك اللباس متذكرًا يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ، ثم يبيت بمزدلفة ذاكرًا داعيًا عند المشعر الحرام ، ثم ينطلق بعد الفجر ، وقد بقي عليه الطواف بالبيت ورمي الجمار بمنى وحلق رأسه أو تقصير شعره ، ثم يذبح هديه فيأكل منه ويطعم الفقراء والأغنياء ، ويبقى عليه أن يبيت بمنى يومين أو ثلاثة لرمي الجمار كل يوم ، ثم يطوف بالبيت مودعًا .

## خصائص العقيدة الإسلامية :

تلك هي العقيدة الإسلامية بأركان الإيمان وأركان الإسلام ، من أنكر ركنًا واحدًا منها لا يسمى مسلمًا ، وتمتاز بخصائص وأهداف كثيرة متنوعة ، منها ما يلي

١ – وضوحها وبساطتها ، فلا غموض فيها ولا تعقيد .

٢ – تلاؤمها مع الفطرة الصافية والعقل السليم ، فليس فيها جانب يأباه أحدهما .

٣ – تقوم على العقل والعاطفة معًا ، فتحرر الفكر من الجفاف والتخبط الفوضوي والفلسفي .

٤ – نزوعها إلى الكمال الخلقي والسمو الروحي وربط المسلم بواقع الحياة .

٥ – تولد في نفس المسلم العزة والكرامة ، فتجعل المسلم لا يخضع إلا لخالقه .

٦ – تبعد المسلم عن القلق والحيرة وغير ذلك ، وتولد فيه الراحة النفسية والفكرية .

٧ – تُرسِّخُ في القلب إخلاص النية وسلامة القصد ، وتمنعه من الانحراف .

٨ – توصل المسلم إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات .

**علماء دين لا رجال دين :**

إن صلة المسلم بربه مباشرة ، يصلي فيناجيه ، ويدعوه فيجيبه ، ويتوب من الذنب فيستغفره ، لا وجود في الإسلام لوسطاء بين الخالق وعباده في جميع الأحوال ، سواء كان ذلك عند الولادة أو الدخول في الإسلام أو التوبة أو الزواج

أو الموت أو غير ذلك من شؤون الحياة ، وإنما هناك علماء دين متخصصون في دراسة الدين والتبحر في علومه ، ليس لهم سلطة تشريع أو تحكم في الناس بمنح عفو أو قبول توبة أو إصدار لعن وحرمان ، وكل ما في الأمر أنهم يجتهدون في فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واستنباط الأحكام الفرعية العملية التي تعرض للناس في حياتهم ، لا يجوز لهم الخروج عن هذين المصدرين الرئيسين ، وربما يخطئون في اجتهادهم فيرجعون عن فتاواهم ، وربما يتوقفون حتى يزول الالتباس ، من أصاب منهم فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فالتخصص في العلوم الدينية والتبحر فيها فرض كفاية ، وعلى كل مسلم أن يتفقه في دينه ويمارس شعائره بنفسه ، فكل مسلم رجل دين ، غير أنه يسأل أهل الذكر ويتعلم منهم إن كان لا يعلم ثم يطبق ، ولاريب أن الوساطة بين الله وعباده تساعد نفوذ الوسطاء وسيطرة من يسمون برجال الدين ، ويبقى الناس في جهل .

# العبادة ومكارم الأخلاق

**توطئة :**

لاريب أن المؤمن عندما يكون مع النبي أو على مقربة منه يسمع تعاليمه تدركه نفحات ربانية ، فيشعر بالاطمئنان وراحة النفس ، ويجد حلاوة الإيمان ، فينعكس ذلك على عبادته ومعاملته للناس ، وكذلك إذا كان قريب العهد من تعاليم النبوة ، غير أن ذلك الشعور ربما يتغير بين حين وآخر ، فتقسو القلوب ، وتتحكم الأهواء والشهوات في النفوس ، ولاسيما إذا بعد العهد بالأنبياء وتعاليمهم ، ولذلك اقتضت حكمة اللّه تعالى أن يلزم عباده بأفعال وأقوال يكررونها في أوقات متقاربة ، تذكرهم بالإيمان باللّه واليوم الآخر وسائر تعاليم الأنبياء ليبقى إيمانهم غضًّا طريًّا ، ويحتفظوا بمكارم الأخلاق وصدق المعاملات .

## أ - العبادة

**تعريفها وأنواعها :**

العبادة لغة : الطاعة والخضوع ، وهي في الإسلام اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والأفعال

الإرادية الظاهرة والباطنة . وهي نوعان : عبادة بالمعنى الخاص وعبادة بالمعنى العام .

أ - **فالعبادة بالمعنى الخاص** : هي طاعة اللّه والخضوع له والتقرب منه بما شرع من أقوال وأفعال قلبية وبدنية ومالية .

أو هي الأعمال المحددة التي كلف اللّه المؤمنين القيام بها ، كالأركان الخمسة وما يلحق بها من شعائر وأوامر ، وهي توقيفية ، فليس لأحد أن يعبد اللّه إلا بما شرعه ، وليس لأحد أن يزيد فيها أو ينقص منها . وهي ثلاثة أقسام :

١ - عبادة بدنية ، فمنها القلبية والفكرية ، كالتوكل على اللّه والمحبة فيه وتدبر القرآن والتفكر في آلاء اللّه والصبر عند المصيبة والتسليم لقضاء اللّه وقدره .

ومنها القولية كقراءة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار ونحو ذلك .

ومنها الجسدية أو الجسمية ، وهذا القسم منه ما يتأدى بالفعل كالصلاة ، ومنه ما يتأدى بالكف والامتناع كالصوم .

٢ - عبادة مالية ، كالزكاة وسائر الصدقات والمساهمة في الخيرات .

٣ - عبادة جامعة تتعلق بأكثر من جهة ، كالحج والجهاد والشكر على النعمة ونحو ذلك .

ب - **والعبادة بالمعنى العام** : هي الدينونة الشاملة للّه في

كل شؤون الحياة . وتعني السير في الحياة وفق شرع الله وأحكامه ابتغاء رضوانه ، فهي تشمل جميع أعمال المرء الإرادية سواء كانت قلبية أو سلوكية ، فكل ما يقوم به من أمور عادية في حياته من فعل أو ترك كالطعام والشراب والرياضة البدنية وزيارة الأقارب والأصدقاء والكف عن المحارم وأداء الأمانة والوفاء بالعهد والإحسان إلى الجار والعمل في المهن وغير ذلك عبادة ، فالعادة تصبح عند حسن النية عبادة ، ومن هذا المنطلق يستطيع الإنسان أن يكون في عبادة دائمة .

## من حكمتها :

تنزع العبادة إلى الكمال الخلقي والسمو الروحي والراحة النفسية والفكرية ، لأنها مع إخلاص النية تصل المسلم بخالقه فينشرح صدره ، وينتج عن ذلك إصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات ، وتحمل العبادة الخاصة معنى الغاية والوسيلة معًا :

فهي غاية في حد ذاتها ؛ لأنها قربة وطاعة للخالق ، تقوي علاقة المسلم بربه ، وتؤهله لحبه ورضاه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فهي أساس الوجود الإنساني .

وهي من ناحية أخرى وسيلة نظرًا لما تحتويه من تمارين عملية على تربية الوجدان الديني ودوافع الرغبة في الخير

وكره الشر ، فيتغلب على غرائزه وشهواته ويصحح سلوكه ليسير في الحياة وفق شرع الله وحكمه برغبة ذاتية ، فلكل عبادة وظيفة تظهر آثارها في الفرد والمجتمع .

**فالصلاة** المتكررة في اليوم والليلة تجعل العبد يستحي من ربه ويبتعد عن الأعمال الشائنة . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] وهي مناجاة وصلة مباشرة وتجديد ودعاء .

**والصوم** ينمي في المسلم مراقبة الله تعالى في السر والعلن ، إذ لا يمنعه من الطعام والشراب عندما يكون خاليًا إلا اعتقاده بأن الله تعالى يراه ، فيعتاد على الإخلاص وتمام التسليم .

وهو يحرر المسلم من رق غرائزه وشهواته ، ويروِّض نفسه على ترك المحبوبات إيثارًا لحب الله وطلب مرضاته .

وهو يريح البدن ويذكِّر بجوع الفقراء وبؤس البائسين ، فيدفع الصائم إلى مساعدة الناس وقضاء حوائجهم .

وهو يكبح جماح النفس ويقوي الإرادة ، ويعود على الصبر والتحمل وحسن الخلق .

قال رسول الله ﷺ : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » [1] .

**وللزكاة** المفروضة وصدقة التطوع حكم كثيرة ومصالح

---

(١) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود .

عامة ، تظهر من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة . فهي تطهر نفس الغني من الشح والأنانية ، وتنمي فيه السخاء وروح التعاون ، وتطهر نفس الفقير من داء الحسد والبغض والحقد ، فيعيشان متحابان . قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وهي ضمان اجتماعي لما ينتج عنها من كفاية الفقير وسد حاجته ، ومساعدة المنقطع في طريقه وإعانة من أصابته جائحة وإكرامهم .

والحج غذاء روحي ، فيه ذكريات الأنبياء وتصميم على طاعة الله ومخالفة وساوس النفس والشيطان ، فإن رمي الجمار رمز واضح لاحتقار الشيطان ونزعاته .

وهو مظهر من مظاهر وحدة المسلمين ونمو روح المساواة فيما بينهم ، فلا عنصرية ولا إقليمية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة .

وهو وسيلة لتعارف المسلمين وتعاونهم على حل مشكلاتهم ، وتبادلهم المنافع التجارية وغير ذلك مما فيه مصلحة لهم .

وهو ترويض للنفس والبدن على بذل المجهود وركوب المشاق ومفارقة الأهل والوطن والتضحية بالراحة وإنفاق المال في طاعة الله وتعويد على النظام والصبر وحسن الخلق .

قال تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

## من مزاياها :

العبادة هي التعبير العلني عن العقيدة ، وهي الوسيلة إلى صلة الإنسان بخالقه ، فلا عقيدة بغير عبادة ، ولا خير في دين ليس فيه صلة بالله وصلاة له . ومن مزايا العبادة في الإسلام ما يلي :

١ - تعتمد على النية والقصد ، فهي امتثال لأمر الله وخالصة له وحده ، لا يشاركه فيها أحد ، ويفسدها الرياء .

قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى** » (١) .

٢ - تمتاز بالبساطة والاعتدال والسهولة والترخيص ورفع الحرج . قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

٣ - متنوعة ومتعددة ليتجدد نشاط النفس وتتواصل تزكيتها .

---

(١) متفق عليه .

## ب - مكارم الأخلاق

**التربية الخلقية :**

الخلق عامل يؤثر في سلوك الإنسان ومقدرته على تكييف نفسه مع البيئة ، فهو عبارة عن شعور راسخ في النفس تصدر عنه الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية . أما التربية الخلقية فهي تدريب النفس على العادات الفردية والاجتماعية وفق المنهاج الذي جاء به الإسلام في القرآن والسنة المطهرة .

فالأخلاق صفة في النفس تؤثر في السلوك ، سواء كانت فطرية أو مكتسبة ، وقد أودع الخالق سبحانه في الإنسان عقلًا وفطرة يدرك بهما مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وعكس ذلك ، ويسمي بعضهم هذا الإدراك بالضمير ، والنفس وبهذا التكوين لديها استعداد للنمو الخلقي .

**الأخلاق في الإسلام :**

دعت الرسالات السماوية جميعًا إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة ، لأنها أساس الإصلاح لكل مجتمع ، ونهت عن الأخلاق الذميمة وحذرت منها ، لأنها دليل انهيار المجتمع ، ولذلك اهتم الإسلام بالتربية الخلقية وأحلها مكانة عالية :

● فمن الغاية التي بعث من أجلها محمد ﷺ الأخلاق ،

فقد قال : « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** » (١) . وعند أحمد : « **مكارم الأخلاق** » .

● وقد مدح الله نبيه محمدًا ﷺ فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

● جعل الأخلاق الفاضلة ثمرة من ثمرات العبادة يظهر أثرها في سلوك الإنسان وتعامله مع غيره ، فالعبادات تربي الوجدان الديني والشعور الفطري كما سلف ، ولذلك ربط أيضًا بين العقيدة والأخلاق ، فقال النبي ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » (٢) .

ومع العبادة الصادقة والإخلاص لله تصبح الأخلاق الحميدة سجية للمسلم ، وتكون سريرته أطيب من علانيته ، فتعلو درجته في الجنة .

قال النبي ﷺ : « **ألا أخبركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني منازل يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقًا ، الموطؤون أكنافًا ، الذين يألفون ويؤلفون** » (٣) .

وعند الترمذي : « **إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا** » .

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي .

(٢) متفق عليه . (٣) أخرجه البخاري .

## نماذج مما أمر به الإسلام أو نهى عنه من الأخلاق :

دعا الإسلام إلى أمهات الفضائل التي يسعد بها الفرد والمجتمع ، كالصبر والحلم والعفو والصدق وقول الحق وأداء الأمانة المادية والمعنوية وصحبة الأخيار والإيثار ونحو ذلك من الفضائل .

ونهى عن الكذب والغش والخيانة وظن السوء والتجسس والحسد والغيبة والنميمة واحتقار الآخرين ونحو ذلك من الرذائل التي تسبب العداوة بين الناس .

وقد احتوت الشريعة الإسلامية إرشاداتٍ أخلاقية في معاملة الناس والأصدقاء وغيرهم من أصحاب الحقوق الأدبية ، وبخاصة الأبوان ، وأولت العلاقات بين الأرحام وبين الجيران عناية خاصة .

قال رسول الله ﷺ : « **من أحب أن يبسط له في رزقه ، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه** » [1] .

وقال أيضًا : « **مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » [2] .

وقال أيضًا : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن**

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي .

(٢) أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود والترمذي .

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت » [1] .

وقال أيضًا : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء خيرًا » [2] .

وقال أيضًا : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، واستوصوا بالنساء خيرًا » [3] .

(١) أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي والبيهقي .

(٢) أخرجه مسلم . (٣) أخرجه البخاري .







## النظم التشريعية وخصائصها

ويحتوي على الفرعين التاليين :

- **جوانب النظم التشريعية .**
- **خصائصها .**

## جوانب النظم التشريعية

### تعريفهما :

الشريعة ما شرعه اللّه لعباده من الدين وما سنه لهم من منهاج لتنظيم علاقتهم مع بعضهم في جميع نواحي الحياة .

وقد احتوى التشريع الإسلامي المبثوث في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والمستنبط منهما على مبادئ سامية ونظم واضحة في جميع نواحي الحياة ، تدل على عظمته وأصالته وصلاحه وإصلاحه لكل زمان ومكان وأمة في حفظ الدين والعرض ( أصالة النسل ) والنفس والعقل والمال وغير ذلك ، وهو يعمل على إقامة الروابط الاجتماعية المادية والمعنوية والأخلاقية بين الناس جميعًا ، أفرادًا وشعوبًا وأممًا ، وينظمها على أساس من العدل والتعاون والمواساة .

### جوانب النظم في التشريع الإسلامي :

لبى الإسلام حاجة البشرية فجاء بأنظمة تتناول الجوانب كلها على غاية من الدقة والمرونة ، جمعت بين العدل والرحمة في معاملات الأمم والشعوب والدول ، ولبى حاجة المجتمع فجاء بأنظمة تضبط سلوكه ، وتعرف الأفراد بحقوقهم

وواجباتهم . وإليك تعريفًا موجزًا ببعض هذه النظم .

**العلاقات بين الأمم والدول :**

لا يحب الإسلام الظلم والاعتداء ، ولا يرضى أن يعتدي عليه أحد ، ولذلك جاء بنظام حدَّد فيه علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في حالتي الحرب والسلم ، فأتى بأصول جمعت بين العدل والرحمة في معاملات الأمم والدول ، وأقر مبدأ حرية العقيدة والعبادة وما يتعلق بهما ، ويتجلى ذلك في حسن معاملة أهل الذمة من يهود ونصارى ومجوس ، وحسن معاملة المعاهد والمستجير ونحوهما ، وبيَّن الهدف من الجهاد في سبيل اللّٰه والإعداد له وطرق التعامل مع الأعداء ، وقد تجلى ذلك في المثالية والواقعية في محاربة الأعداء ومعاملة الأسرى والقتلى والحفاظ على العهود واتفاق الهدنة وغير ذلك ، وإذا تجلت المثالية الخلقية في جهاد الأعداء ففي غيره من باب أولى .

**نظام الحكم :**

لابد من وجود نظام للحكم يعرف الإنسان ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، ويشرف على تنفيذ الأنظمة والقوانين ، وقد جاء الإسلام بنظام للحكم بين فيه الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين الحاكم والمحكوم وواجبات كل منها والهدف من الحكم والصفات التي يجب أن تتحقق

في الحاكم ، وأساس ذلك المبايعة الصحيحة للحاكم ، والشورى والعدل منه ، والطاعة في غير معصية من المحكوم مع حفظ الكرامة .

**نظام المال :**

المال قِوام الحياة ، ولذلك حدد الإسلام موارده ومصادره، فأباح وسائل الكسب الطيب في التجارة والزراعة والصناعة ، وحرم الكسب الخبيث ، وأباح الإنفاق في وجوه الخير ، وأوجب الإنفاق في بعض السبل ، وحرم الإنفاق في وجوه الشر وإتلاف المال ، ونظم التعامل المباح بالأموال والماديات كالبيع والإجارة والرهن والهبة والوصية وغير ذلك ، وجعل أساس ذلك التراضي التام وتحريم أكل أموال الناس بالباطل .

**نظام العمل :**

حدد فيه علاقة العامل بصاحب العمل وعلاقة صاحب العمل بالعامل ، وبين واجبات كل منهما وحقوق وواجبات الدولة نحو العمال وتأمين العمل للقادرين عليه ، حماية لهم من التسول ، وحفظًا للمجتمع من أن تنتشر فيه السرقة .

**نظام الجنايات والعقوبات :**

ولصيانة المجتمع من الفوضى والاضطراب حدد الإسلام الجنايات وعقوباتها المناسبة والرادعة من سرقة وزنى وقتل

وقطع طريق وخروج على الدولة بغير حق وغير ذلك ، وقد أتى بتشريعات جمعت بين المثالية والواقعية العادلة في القصاص والحدود والتعزيرات وعقوبات سائر الجرائم . قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ البقرة : ١٧٩] .

## التكافل الاجتماعي :

ليكون المجتمع وحدة متماسكة أقام الإسلام نظام التكافل في الأسرة والمجتمع ، وسَدَّ سبل الاحتياج . فقد فرض نظام الزكاة ، وجعله ركنًا من أركان الإسلام كما سلف ، وشرع معها صدقة التطوع ورغب فيها بإثارة مشاعر الرحمة في النفوس المؤمنة .

قال النبي ﷺ : « **من نَفَّس عن مؤمنة كُربة من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة .. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** » (١) .

وقال أيضًا : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وشبك بين أصابعه** » (٢) .

وفي رواية مسلم والطبراني في الأوسط : « **أنا وكافل**

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود .

(٢) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي .

**اليتيم له أو لغيره في الجنة ، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » .**

**حرية الرأي :**

الرأي هو منتهى ما يستقر في الذهن بعد البحث والتفكير والتمحيص ، ومن حق الفرد أن يبدي رأيه في سير الأمور العامة ضمن المشاورة والتشاور دون التعدي على حرمات الآخرين أو مقدساتهم ، ومن حق المجتمع أن ينتفع بثمرة آراء أفراده ضمن هذا النطاق ، وحين تسود العدالة والإنصاف والاحترام مجتمعًا ما تنصرف كل طاقاته إلى العمل المثمر في جو من الاطمئنان دون جور أو إجحاف .

**نظام الأسرة :**

بما أن الأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين المجتمع ، فقد حدد الإسلام مفهومها وصفة بنائها من الخطبة حتى الزواج ، ونظم العلاقات بين أفرادها من خلال واجبات وآداب يرعاها كل من الزوجين داخل البيت وخارجه لتستمر المودة والرحمة بينهما ، ودرءًا للأخطاء والاختلاف ، وشرع قواعد رحيمة حكيمة بين فيها أحكام النفقة والطلاق والعدة والميراث بعد الوفاة حيث وزع التركة بين أفراد الأسرة توزيعًا عادلًا مناسبًا ، فقد أمر الزوج بالعمل والتكسب لينفق على أسرته ، وأوصاه بزوجته خيرًا

وأكد على حسن معاشرتها وإكرامها ، وبَغَّض إليه الفرقة ، وحَمَّله من تبعاتها ما يجعله يتوقف ويفكر كثيرًا قبل الإقدام على الطلاق ، وأمر الزوجة بالأمانة في حفظ مال زوجها ومصالحه ورعاية أولادهما ، ونهاها عن إدخال أحد بيته إلا بإذنه درءًا للفساد والإفساد ، وأمرها بالتحبب إلى زوجها وحسن معاشرته ، فإذا عرف كل واحد واجبه وراعى آدابه كان البناء متماسكًا لا تنال منه الأعاصير ، وساهم في بناء المجتمع وإصلاحه .

## إكرام المرأة :

رد الإسلام الرجل والمرأة إلى أصل واحد ، ومزج بينهما مزجًا لا يفصل ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١] ، فهما من جنس واحد ، وليست أدنى من الرجل ، وَوَجَّه خطاب التكاليف إليهما معًا ، فالمساواة قائمة بينهما في القيم الإنسانية والتكاليف وسائر الحقوق العامة ، غير أنه ثمة فرق بينهما في بعض الأحكام تبعًا لاختلاف وظيفة كل منهما في الحياة نتيجة لاختلاف الجسم والطبيعة التي فطر اللّٰه كل واحد منهما عليها ، قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

**فما هذه الدرجة .**

نظر الإسلام بعين العدل والرأفة إلى المرأة ، فألزم الرجل بدفع مهر لها قبل الزواج هدية بدون مقابل ، وحمله النفقة عليها والقيام بأعباء البيت والنفقة على الأولاد فيما بعد دونها ، فهي ليست ملزمة بالإنفاق حتى على نفسها ولو كانت غنية ، ومالها الخاص بها مصون ، لا يحق لزوجها أن يأخذ منه شيئًا إلا عن طيب نفسها ، فلقاء ذلك كله كان الطلاق بيد الرجل ، إذ هو الخاسر الذي سيتحمل مغبة ذلك بالإضافة إلى نفقتها في أثناء العدة بعد الطلاق وعبء الأولاد ، ولها هي إذا كان زوجها سيء التصرف أو قصر في حقوقها ، ولم تنفع محاولات الإصلاح أن تطلب الطلاق منه أو المخالعة التي يتم بها التراضي على الفراق ، فإن أبى فلها أن ترفع الأمر إلى القضاء ويفرق القاضي بينهما .

أما في الميراث فالمرأة على النصف من نصيب الرجل في أكثر الحالات ، ومن الحكمة في ذلك أنها من أول حياتها إلى نهايتها مكفولة من حيث النفقة غير ملزمة بالنفقة على أحد ولو كانت غنية ، فحينما تكون صغيرة أو فتاة لها حق النفقة على والدها حتى تتزوج وحينما تتزوج لها على زوجها المهر والنفقة كما سلف ، وحينما تصبح أرملًا أو مطلقة فنفقتها على أولادها البالغين ، وإذا لم يكن لها أولاد

فعلى إخوتها الموسرين ، لأنها غير ملزمة بالعمل ، **وثمة فرق بين حقها في العمل المصون وبين إلزامها بالعمل .**

ومن الحكمة في ذلك أيضًا أن المتوفى لو كان حال حياته فقيرًا عاجزًا عن الكسب ، فإن نفقته تكون على أبنائه دون بناته ، وإذا لم يكن له أولاد ، فعلى إخوته دون أخواته ، وهنا يظهر أحد معاني القاعدة الفقهية المستنبطة من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة « **الغنم بالغرم** » أو « **الغرم بالغنم** » ، فمن حق من يغرم أن يغنم ، ومن حق من يغنم أن يغرم .

**تنبيهات :**

١ - إنما شرع الطلاق لحكم كثيرة ، والأولى أن يكون آخر العلاج ، فقد قال النبي ﷺ « **أبغض الحلال إلى الله الطلاق** » [(١)] ، وجعله على ثلاث مراحل ، إثر كل مرحلة عدة لا يجوز للمرأة أن تتزوج في أثنائها لمعرفة براءة الرحم ،

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن ابن عمر والطبراني عن كعب ابن عُجرة ، والدارقطني والحاكم في المستدرك عن معاذ بن جبل بلفظ « **ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق** » ، والبزار بلفظ « **لا تطلق النساء إلا من ريبة ، لا يحب الله الذواقين ولا الذواقات** » . وأسانيده ضعيفة كما ذكر ابن الجوزي وأبو حاتم وابن حبان ، وقال المنذري : المشهور المرسل ، وهو غريب . ا. هـ. غير أن معناه موافق لأحاديث كثيرة صحيحة تنفر من الطلاق ، لأنه علاج .

ولإتاحة فرصة المراجعة بعد الطلقتين الأوليين . وقد عاب قوم على التشريع الإسلامي إقراره الطلاق مدعين أن ما وصله الله لا يقطعه إنسان ، وهذه مغالطة ، فما وصله الله بعقد يجريه إنسان ، يفرقه الله بعقد آخر يجريه إنسان إذا دعت المصلحة إليه . ومن العجيب أن تصبح نسبة الطلاق بين الشعوب الأوربية والأمريكية أعلى النسب في العالم ، ويتم الطلاق لأتفه الأسباب بعد أن كان محرمًا .

٢ - إنما أباح الإسلام تعدد الزوجات إلى أربع لحِكم كثيرة ومصالح لا تخفى على المتأمل ، واشترط تحقيق العدل ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء : ٣] أي فتزوجوا واحدة ، وقال النبي ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله من بعدي** » (١) .

ومن العجيب الغريب أن يعيب أقوام على التشريع الإسلامي إباحة تعدد الزوجات إلى أربع ـ مع أن أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وغيرهم عليهم السلام كانت لهم زوجات متعددة ، بل كثيرة عند بعضهم . علمًا بأن ظاهرة معاشرة رجل أكثر من امرأة منتشرة في أنحاء العالم ، غير أنها عند المسلمين بعقد حلال يحفظ كرامة المرأة وكرامة أهلها ونسلها ، وعند غيرهم بدون ذلك ، وإنما لقضاء

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك .

الوطر. فأي المجتمعات أكرم (1) ؟

## خصائص النظم الإسلامية وميزاتها :

الشريعة الإسلامية ليست من وضع البشر ، وإنما هي ربانية ، مصدرها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهي تمتاز عن الأنظمة والقوانين الوضعية بأمور كثيرة ، أهمها ما يلي :

**١ - التلازم التام والترابط بين النظم وبين العقيدة والعبادة والأخلاق :**

فالإسلام وحدة متماسكة ، لا تنفصل فيه عقيدة عن عبادة ، ولا نظام عن عقيدة وعبادة وأخلاق ، فالنظم كلها ترتكز على العقيدة ، والمسلم يقوم بتنفيذها استجابة لأمر الله ، فهي عبادة بالمعنى العام ، وهي لا تنفك عن الأخلاق ، لأن العبادة التي أمر الله بها لا تكون مقبولة حق القبول إلا إذا ظهر أثرها في سلوك الإنسان ومعاملته مع غيره. قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

**٢ - ارتباط العقاب الأخروي بالجزاء الدنيوي :**

يقترن بالقوانين الوضعية عقوبات لضمان تنفيذها

(١) من أراد زيادة فليطالع كتاب التكافل الاجتماعي في الإسلام لمحمد أبو زهرة ، والأسرة في الشرع الإسلامي للدكتور عمر فروخ ، والمرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي .

والحفاظ على أحكامها ، ويستطيع كثير من الناس أن يتحايلوا على القوانين ويفلتوا من المؤاخذة والعقاب ، بينما يبدأ دين الإسلام في تطبيق نظمه من داخل الإنسان نفسه أولًا ، لأن الأنظمة كلها قائمة على الإيمان بالله ومراقبة ثوابه وعقابه ، فالمسلم الحق يلتزم بالأحكام ، وينفذها وفق الأخلاق التي نادى بها الإسلام ، سواء كان خاليًا أو بين الناس ، وسواء كان من يتعامل معه ذا خبرة أو مغفلًا ، وسواء كان حاكمًا أو محكومًا ، لأنه يوقن أن عين الله ساهرة ، ولئن أفلت من يد العدالة في الدنيا فلن يفلت من عدالة الله في الآخرة ، وهذا ما يسمى بالوازع الديني .

**تنبيه** : إن الاضطرابات النفسية المتنوعة التي يعاني منها كثير من الناس اليوم يعود جانب كبير من أسبابها إلى خلو الأنظمة والقوانين الوضعية من فكرة روحية تربطها بالخالق ، وتجعل من نفس الإنسان وضميره الذاتي رقيبًا عليه في الالتزام والتنفيذ ، لأنها إنما تقوم على تقديس المادة وتجاهل الروح ، ودون النظر إلى طاعة الله أو معصيته .

**٣ - شمولها :**

إن رسالة الإسلام لا تختص بأمة دون أمة ولا بعرق دون عرق ولا بزمن دون زمن ، بل هي عامة للناس كلهم منذ بعث النبي محمد ﷺ إلى قيام الساعة . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال سبحانه :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، ولذلك فهي تمتاز بما يلي :

أ - شمول أنظمتها جميع ما يحتاجه الإنسان من عقيدة وعبادة وأخلاق وأنظمة سياسية واجتماعية ومالية وغير ذلك كما سلف .

ب - صلاحها وإصلاحها لكل زمان ومكان وأمة ، لا يقوم بإصلاح البشرية الحقيقي غيرها ، لأنها صادرة عن العليم الخبير الذي يعلم ما يصلح لعباده .

جـ - جمعت بين الثبات والتطور : فالتشريع الإسلامي ثابت في مبادئه وأسسه وأهدافه ، مواكب للتطور في فروع أنظمته ، لما فيه من التيسير ورفع الحرج ومراعاة مصالح الناس ، بخلاف تشريع البشر ، فإنه ناقص متغير حتى في أسسه لما فيه من قصر النظر .

د - جمعت بين الحسنيين : الواقعية العادلة والمثالية السامية ، وبذلك انسجمت مع واقع حياة الناس ، ولم تطلب من جميعهم مثالية لا يتحملها إلا بعضهم ، كالإيثار على النفس ، والتنازل عن الحق والعفو عن الإساءة ، وإنما حضت عليها .

**وصفوة القول** : هذا هو دين الإسلام وهذه هي شريعته ، يأمر بتوحيد اللّه المطلق ، وينهى عن الإشراك ، يأمر بالصدق والأمانة ، وينهى عن الكذب والخيانة ، يأمر بالعدل والوفاء ،

وينهى عن الجور والغدر ، يأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار ، وينهى عن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم والإساءة إلى الجار ، فهو يأمر بكل خير وينهى عن كل شر . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل : ٩٠- ٩١] .

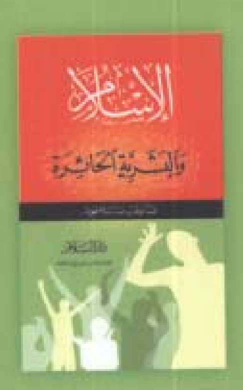
وهذه هي نظمه التشريعية المبثوثة في الكتاب والسنة ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، تحل الطيبات وتحرم الخبائث ، تدعو إلى العدل وتحرم الظلم ، تريد الإنصاف وتحض على المثالية ، لم يبق من معروف تعرفه العقول السليمة إلا أتت الشريعة الإسلامية به ، ولا منكر تنكره العقول السلمية إلا نهت عنه ، لم تأمر بشيء تقول العقول السليمة والفِطر الصافية ليتها لم تأمر به ، ولم تنه عن شيء تقول العقول السليمة والفطر الصافية ليتها لم تنه عنه ، فهي تحل الطيبات لا تحرم شيئًا منها ، وتحرم الخبائث لا تحل شيئًا منها . وهذا أمر طبيعي في دين أتمه اللَّه ، وجعل رسالته عالمية للناس كلهم ، وختم به الشرائع .

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة : ٣] .



# المحتوى

* * *




## هذا الكتاب

لقد تميزت الأمة الإسلامية بكونها خير أمة أخرجت للناس ؛ لما تميزت به من مقومات خاصة ؛ لكنها الآن ضالة في قفار التيه والظلام ؛ فقد بهرها بريق التقدم العلمي والتكنولوجي ؛ لكنها تناست لجوءهم إلى عيادات الطب النفسي أو الانتحار . وتتابع على ذلك تقليد متعصب وهوى أعمى فتح على الأمة دوائر الإلحاد .

وقد أبرزنا مزايا الإسلام الفريدة لهؤلاء التائهين الحائرين - موضحين دلائل نبوة الرسول ﷺ ؛ متوخين إزالة الشبهات المثارة حول النظم الإسلامية ؛ في محاولة لتكوين مرآة صادقة تستوقف كل ذي عقل رشيد .



الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٥٩٣٢٨٢٠ - ٥٠٣٦٥٦٣٩
فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٠٢٠٢)
الإسكندرية - هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٢٠٣)

email:info@dar-alsalam.com
www.dar-alsalam.com